بسم الله الرحمن الرحيم

وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا

آدم

عليه الصلاة والسلام

بشير التركي

نشر

1405هـ-1985م

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم اغفر لي واهدني الى الصراط المستقيم.

الى جبريل عليه الصلاة والسلام الذي خلقه الله من نور وخلقني من طين وارسله الى الارض بالقرآن العظيم.

الى آدم عليه الصلاة والسلام الذي كلمه الله وعلمه الاسماء كلها وجعله أول الانبياء والمرسلين.

الى محمد عليه الصلاة والسلام الذي أوحى الله اليه القرآن الكريم وارسله رحمة للعالمين خاتم الانبياء والمرسلين.

الى ابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام وجميع الانبياء والمرسلين الذين ارسلهم الله الى عباده واصطفاهم عن البشر الآخرين.

لا الاه الا الله والله أكبر ولله الحمد.

خير الزيك

★

الفهرس

الصفحه

المقدمة: كم من كائن حيّ انقرض في الارض فريسة قوته الفوضوية 8

1 ـ بشر العصور الحجرية : الموجات البشرية الى غاية آدم وأبنائه أربعة نجدها في منطقة المهدية التي تعتبر مهدا للحضارات الانسانية منذ العصور الحجرية 16

١ ـ المهدية	18
٢ ـ الاكتشاف	30
٣ ـ الادوات الحجرية	50
٤ ـ الموجات البشرية	62

2 ـ علم بالقلم : ميز الله آدم عن المخلوقات الاخرى وعلمه الاسماء كلها فتصورها وصورها ونطقها ثم كتبها والحروف الابجدية الاولى عربية 104

١ ـ آدم خليفة مخلوق	105
٢ السبع المثاني والقرآن العظيم	111
٣ ـ اللغة العربية	119
٤ ـ الحروف الاولى عربية	132

3 ـ الخلق لله وحده : يتبين أن الله خلق من كل شيء زوجين أي اثنين وكذلك زوجين أي مثنى اثنين أي أربعة 158

١ ـ خلق عيسى 159
٢ ـ تركيب الكون المادي 164
٣ ـ المخلوقات الحية 167
٤ ـ رقم ٤ في القرآن 170

4 ـ القرآن معجزة خالدة : في عصر العلم القرآن معجزة علمية لأنه معجم علمي ولكنه مستوحى من روح العلم وجوهره وهو معجزة خالدة لانه يحتوي على كل العلم أي علم الشهادة وكذلك علم الغيب 174

١ ـ القرآن كتاب علم 175
٢ ـ علم الغيب وعلم الشهادة 181
٣ ـ القرآن موجه للمخلوقات جميعا 184
٤ ـ القرآن شامل وخالد 186

الخاتمة : الجهاد لتحطيم معالم الوثنية والجهاد في سبيل الله ذلك هو الفوز العظيم 192

المقدمة

﴿٢٠﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ٢٩

كم من كائن حيّ انقرض
في الارض فريسة قوته الفوضوية

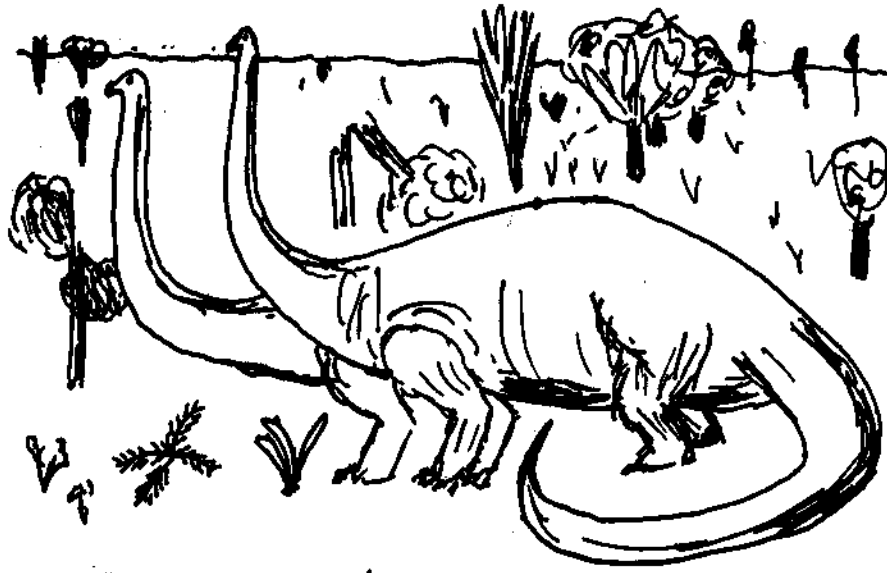

هذا الحيوان الزاحف يسمى الدينزور يزن أكثر من ثلاثين طنا ترتعش الأرض تحت أقدامه وتسمع خطواته عن بعد عمّر الارض طيلة سبع ومائة مليون سنة وفتك بالغابات وأفسد في الارض فانقرض نتيجة فساده.

بينّا في مجلة العلم والايمان* وفي كتاب لله العلم** أن القرآن معجزة علمية في عصر العلم أيضا وانه كتاب علم لا انه معجم علمي ولكنه كتاب مستوحى من روح العلم وجوهره وقد اختبرنا كل فروع العلم من رياضيات وفيزيا وكيميا وعلم الحياة وخلق الكون كلّه من سموات ونجوم وشمس وأرض وقمر وخلق الانسان والحيوان والنبات ودورة الماء الخ... فكل ذلك مذكور بدقة كبيرة في القرآن الكريم الذي نزل في عصر لم يكن للانسان نصيب وافر مما وصل اليه اليوم من علم ومعرفة ولم يشيد العلم الا بفضل القرآن الكريم كما وضحناه والقرآن هو المرجع الاساسي لكل نشاط الانسان ماديا ومعنويا بل هو المرجع الوحيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ذلك هو الطريق المستقيم الوحيد للانسان لبلوغه الغاية الكبرى في الدنيا والآخرة.

* صدر أول عدد منها في ٧ مارس ١٩٧٢.
** صدر في سنة ١٩٧٩.

وقد اكتشفنا في منطقة المهدية أن الانسان عاش فيها في كل أطواره منذ ملايين السنين وسنبيّن المراحل التي مرّ بها حتى أصبح اليوم يعتقد خطأ أنه أحرز في عصر العلم على كل العلم والتقنية وأنه بذلك سيد الكون ومدبّره.

ونبيّن أيضا أن أهم ما تعلمه الانسان منذ خلقه الى الآن هي الكتابة **وعلم آدم الاسماء كلها علم بالقلم** والكتابة هي الحروف الابجدية التي وجدنا بفضل **علم آثار الكلام** في اللغة العربية أنه وضعها العرب باللغة العربية للمرة الاولى منذ أربعة آلاف سنة تقريبا والمعلوم أن العربية أقدم لغة ثبتت فقامت بمهمة اللغات أحسن قيام اذ أنها مكنت الاجيال من الاتصال بعضها ببعض في أحسن اتصال منذ آلاف السنين وقد اصطفاها الله بأن أنزل بها القرآن العظيم.

ونحن قوم ديننا الاسلام ولغتنا العربية فالاسلام هو الدين الثابت بفضل خلود القرآن والعربية هي اللغة الدائمة بعد اندثار كل اللغات الاخرى كما اندثرت لغات عديدة أصغر منها عمرا.

وفي كتاب **لله العلم** أقمنا الدليل على أن القرآن معجزة خالدة وهو معجزة علمية في عصر العلم أيضا. وفي هذا الكتاب نقيم الدليل على أن العربية لغة عظيمة وخالدة لن تموت الى أن يرث الله الارض ومن عليها.

فالقرآن كتابنا والعربية لغتنا مهما يكن من أمر نجاهد في سبيلهما بالنفس والنفيس.

والانسان يعيش في الارض مع مليون جنس حيواني ثلاث أرباعها حشرات وهي كلها في حالة انقراض مستمر بسبب فساد الانسان في الارض وهو لم يألف الا بعض الحيوانات القليلة ولم يأنس سوى حشرتين وهما النحلة ودودة الحرير وهذا يدل على أن الاتصال بين

الانسان والكائنات الحية مفقود تماما وكذلك الاتصال بين البشر بعضهم ببعض هو أيضا ضعيف جدا الى حد أن الخلافات والتطاحن بينهم تنشأ دوريا.

وتوجد أيضا على سطح الارض ٣٥٠.٠٠٠* نوعا نباتيا لم يألف الانسان الا القليل منها ونبتة من عشرة مهددة بالانقراض بسبب فساده في الارض.

والماء وهو أهم عنصر للحياة مهدد بدوره أيضا بالتلوث بنسبة ثلاث أرباع منه بسبب أعمال الانسان الفاسدة.

والطاقة التي تعتبر أهم عنصر لتشييد الحضارة الحالية تصاد مثل السمك في البحر أي أنه ليس للانسان منهاج دقيق مخطط ومعروف مسبقا لاستخراج الطاقة اللازمة له واستعمالها بصفة منطقية فهو يصطاد الطاقة في الارض كيفما يجدها دون أن يستطيع التحكم في منابعها فمثله في هاته الحالة مثل انسان العصور الحجرية الذي يصطاد قوته اليومي كيفما يجده لتهيئة طعامه دون تخطيط ولا ضبط مستقبلي.

وانسان الغرب الذي يعتبر متقدما في عصر العلم والتقنية أصبح على حافة الاندثار لانه سجين المفرقعات المبيدة وضحية التلوث المستمر وأسير الاخلاق البالية وهزيل اللهفة المادية المتزايدة.

وكم من كائن حي انقرض في الارض فريسة قوته الفوضوية مثلا ذلك الحيوان الضخم القوي المسمى بالدينزور الذي كان سيد الارض مدة سبعين ومائة مليون سنة ولكنه انقرض تماما فيها ولم يبق منه أي أثر سوى عظامه المتحجرة.

وقد جاء في سورة البقرة:

﴿٣٠﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا

* نستعمل على حد السواء الارقام: ٠ ١ ٢ ٣ ... أو الارقام 0 1 2 3 ... لانها كلها عربية.

مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ
لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ
عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ
ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم
بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ
مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ
فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾
وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ
شِئْتُمَا ۖ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا
ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ
عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن
رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟
مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ
أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ -٢-

فقد ذكر الله عن طريق الملائكة أنه قد وجدت في الارض مخلوقات بشرية قبل آدم عليه الصلاة والسلام كانت تفسد في الارض وتسفك الدماء وهذه هي المرة الاولى في تاريخ الانسانية وفي جميع الوثائق والكتب المنزلة وغير المنزلة التي يُذكر فيها هذا الحدث العظيم الذي لم يكتشفه الانسان علميا الا في القرن التاسع عشرالميلادي وقد اكتشفنا بدورنا وجود هذا الانسان في منطقة المهدية يعيش فيها منذ ملايين السنين.

فبعد أن خلق الله هذا البشر الذي انقرض خلق آدم عليه الصلاة والسلام في الجنة ثم أنزله على الارض وهو حامل السبع المثاني* ومن بعد ذلك خلق الله محمد عليه الصلاة والسلام على خلق عظيم وصعده الى سدرة المنتهى في ليلة الاسراء والمعراج فمن آدم أول البشر الحاليين وأول الانبياء والمرسلين الى محمد خاتم الانبياء والمرسلين فالاول نزل من الجنة الى الارض والثاني صعد من الارض الى الجنة والاول حامل المثاني السبع وهو الرصيد الوراثي المادي والثاني القرآن العظيم وهو الرصيد الثقافي الروحي وقال الله تعالى:

﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ - ١٥ -

ذلك هو الانسان فقد أكسبه الله الموروثات ليحيي و يهيىء جسمه في الدنيا وكتابه العزيز ليتثقف و يهيىء روحه دنيا وآخرة أي ليتكون ماديا بالموروثات وثقافيا بالقرآن العظيم.

وهكذا أتم الله خلق الانسان وأحسن خلقه وأعطاه كل ماينبغي عليه أن يكسب ليكذب قول ابليس الذي أصرّ من دون الملائكة بأن

* انظر صفحة ١٨٧ الى ١٩٨ من كتاب لله العلم للمؤلف.

الانسان مفسد في الارض مثل المخلوقات السابقة قبل آدم ومسفك الدماء أيضا مثلها وقد طلب ابليس من الله أن يمهله ليقيم له الدليل على ذلك في قوله تعالى:

﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ
رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ
فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ
أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ
يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ
كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ
مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ
إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ
فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ
فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ص-٣٨-

فهل يضعف الانسان أمام ابليس و يفسد في الارض بكل أنواع الفساد الادبي منه والمادي كالفساد الاخلاقي والتلوث البئوي و يسفك الدماء فيستعمل المبيدات الجماعية كالقنابل الذرية والاسلحة الكيميائية وغيرها... أم يرشد و يهتدي و يلعن ابليس و يبين لله تعالى

أنه خلف خيّر وان كان السلف شرّا ويحمد الله الذي أعطاه السبع المثاني والقرآن العظيم.

ربنا ارفق بعبادك والطف بهم واعف عنهم وأهدهم الى صراطك المستقيم. آمين.

1. بشر العصور الحجرية

﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ -٧١-

١ ـ المهدية
٢ ـ الاكتشاف
٣ ـ الادوات الحجرية
٤ ـ الموجات البشرية

الموجات البشرية الى غاية آدم وأبنائه أربعة نجدها في منطقة المهدية التي تعتبر مهدا للحضارات الانسانية منذ العصور الحجرية

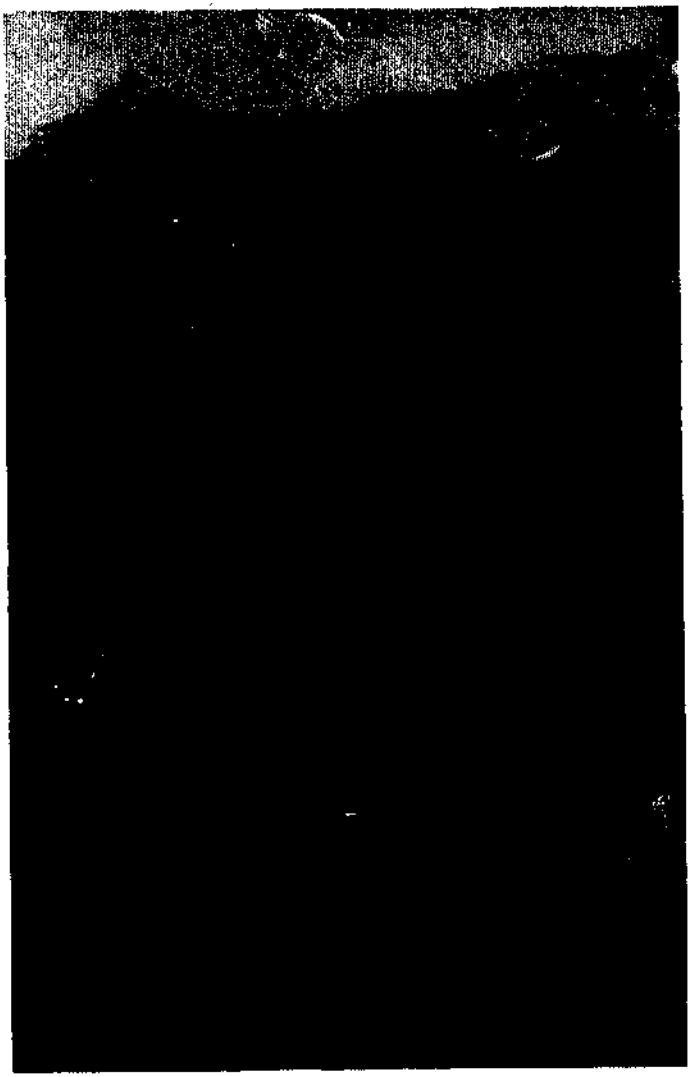

كهف يحفر طبيعيا في جبل المهدية نتيجة عمل الماء والريح ثم يسكنه بشر العصور الحجرية.

١ ـ المهدية

أ ـ الموقع
ب ـ وصف المهدية
ج ـ تطورها
د ـ مستقبلها

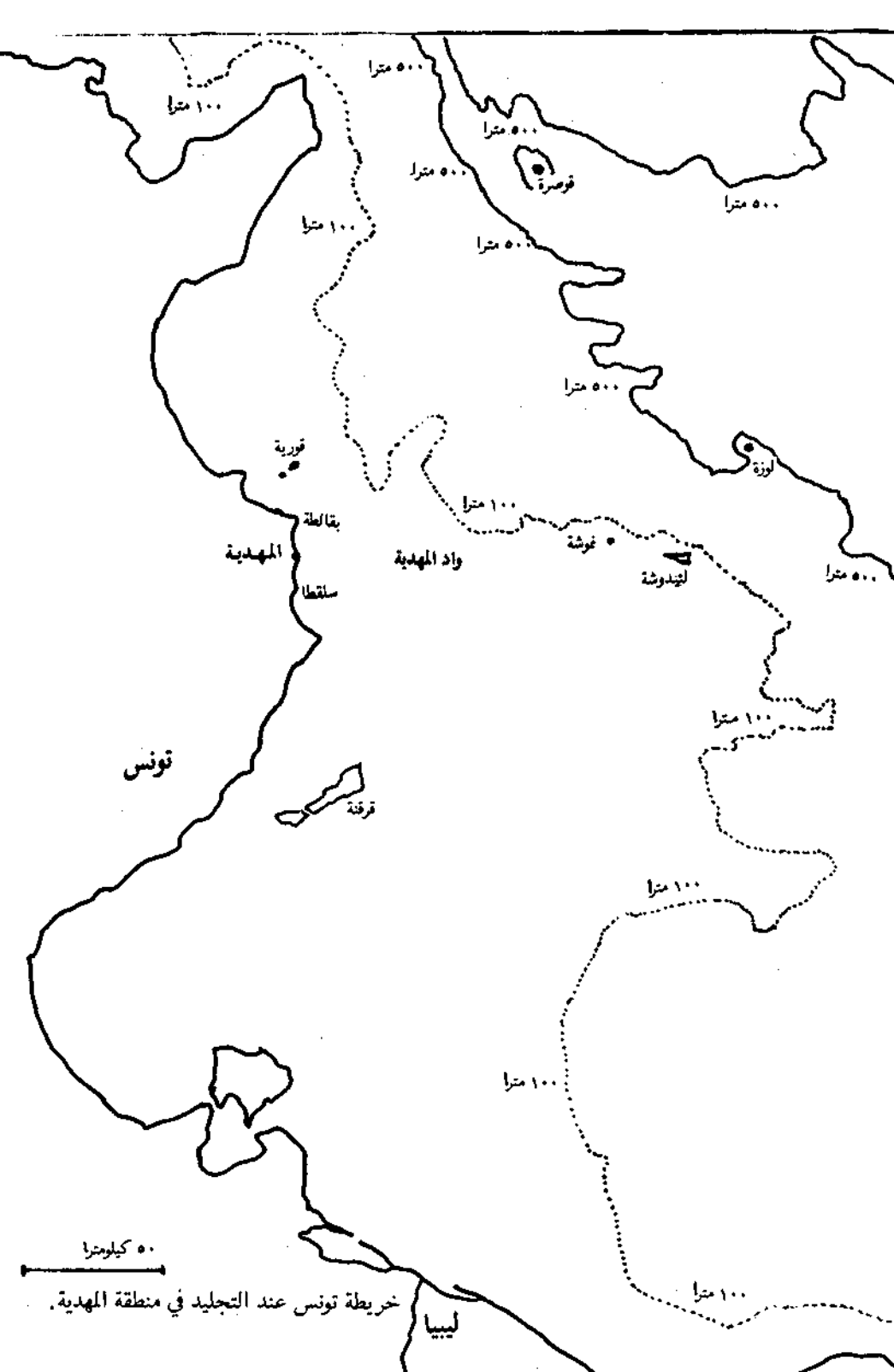

خريطة تونس عند التجليد في منطقة المهدية.

أ ـ الموقع

المهدية مدينة على الشاطىء الشرقي التونسي تقع على طول °١٥ ـ °٣٥ شمالا وعرض °٢٠ ـ °١١ شرقا وهي مركز سهل أرضي شاسع جدا اذ أن عمق البحر في شرق المهدية لا يبلغ ١٠٠ مترا على بعد ١٥٠ كيلومترا أي الى مسافة تبعد أكثر من جزيرتي لنبدوشة ونموشة وارتفاع الارض في غرب المهدية لا يبلغ ٢٠٠ مترا على مسافة ١٠٠ كيلومترا.

فهي مركز منطقة معدل شعاعها ١٢٥ كيلومتراتقع بين نهاية جبال الاطلس الباردة غربا وشمالا من ناحية ومن ناحية أخرى بداية المناطق الصحراوية المحرقة جنوبا و «خندق صقلية» في البحر شرقا.

وهذا الموقع يجعل مناخها معتدلا ترومه كل الكائنات الحية فبحرها الدافىء طيلة كل السنة مكتظ سمكا ونباتا عديدة و برّها اللطيف معمر بحيوانات وأشجار مختلفة الانواع.

ومعدل اتجاه الرياح في المنطقة هو الاتجاه الشمالي الغربي حيث أنها تتشتت على الجبال الاطلسية قبل أن تصل الى منطقة المهدية فتضعف وتتلطف وتأتي في اتجاه من البر الى البحر حيث أن البحر يبقى عادة هادئا جدا لا تنفخ فيه الرياح مباشرة فلا تعرف المنطقة العواصف المحيطيّة الفتاكة.

وبما أن المنطقة تتركب من سهل أرضي شاسع مملوء بمستنقعات وبُحيْرات منها المالحة ومنها العذبة فان رطوبة الجوّ فيها يزداد. فمناخها يعتدل لان ماء البحيرات يعتبر ذخيرة حرارية مثل ماء البحر فهو يشع حرارته عند برودة الطقس ويخزنها عند ارتفاع درجة حرارته.

وهي منطقة جميلة ملائمة للحياة فيها وهي فريدة في نوعها على

سطح الارض قليلا ما يوجد مثلها حتى في محيطات الجنوب الدافئة. وهذا الامر جعلها معمورة جدا منذ تكوينها في آخر العصر الارضي الثالث و بداية العصر الرابع أي منذ عشرات الملايين من السنين. وقد وقعت في هذه المنطقة حوادث تارخية هامة بالنسبة للحضارة الانسانية نذكر منها:

١) في العصور الحجرية: نشأت منذ ملايين السنين حياة بشرية مكثفة كان من نتائجها نوع من التعبير يتمثل في نحت الحجر فريد في نوعه وسيأتي ذكره بالتفصيل في ما بعد.

٢) في بداية التاريخ: أكتشفتُ في زو يلة وهي في ضواحي المهدية مصنع زجاج ضخما.

وهذا يدل على أن أبناء المنطقة منذ آلاف السنين يستطيعون انجاز حرارة تبلغ خمس مائة وألف درجة حرارية تقريبا الامر الذي يعتبر قمة العلم والتقنية في ذلك العهد فكانت المهدية في ذلك الوقت عاصمة حضارية هامة.

وأكتشفتُ أيضا سنة ١٩٨١ مرسى بحريا على شواطىء هيبون يرجع تاريخه الى أكثر من عشرة آلاف سنة نظرا لموقعه المتأخر في البحر واسم **هيبون** مشتق من كلمة **هيبوس** باللغة اليونانية وهي تعني **الخيل** فكانت هيبون سوقا للخيل في ذلك العهد وتوجد مدينتان **هيبون** أخرتان هي مدينة **بنزرت** على الشاطىء الشمالي التونسي ومدينة **عنابة** على الشاطىء الشرقي الجزائري. والخيل كان حينذاك وسيلة متطورة جدا للتنقل والدفاع وهذه أيضا علامة أخرى تدل على تقدم منطقة المهدية حضاريا.

٣) في العصر البربري والزوماني: بقيت آثار عديدة تدل على تقدم حضاري كبير في ذلك العهد أيضا أهمها هو بناء **قصر الجم** الذي يعتبر معلما من معالم الحضارة في المنطقة في ذلك العصر وقد شيّد في غرب المهدية على بعد ثلاثين كيلومترا منها أي بمقدار يوم مشيا تقريبا حتى يكون محميا من غزاة البحر.

٤) في تاريخنا الحديث: اختار عبيد الله المهدي المكان المسمى باسمه **المهدية** وجعل مدينة المهدية عاصمة خلافة اسلامية. فطيلة قرنين العاشر والحادي عشر الميلادي لا تطفو خشبة واحدة على سطح البحر الابيض المتوسط ولا يمر أحد عليه الا بمراقبة **البحرية العربية الاسلامية في ميناء المهدية** فكانت المهدية أيضا عاصمة البحر الابيض المتوسط كله وقد حسدتها في منزلتها عواصم قديمة أخرى كالبندقية والاسكندرية وغيرها.

ومن المهدية انطلق أبناؤها ليؤسسوا المدينة الجديدة **القاهرة** التي تعتبر الى اليوم منارة العروبة والاسلام.

٥) اليوم: تحوي اليوم منطقة المهدية نشاطا حضاريا متنوعا قليلا ما يوجد مثله في بقاع أخرى بفضل عمل أبنائها وكدهم واجتهادهم المعهود فيهم منذ العصور الحجرية كما سيتضح لنا.

فهي أهم مرسى* للصيد البحري في الشواطىء الجنوبية من البحر الابيض المتوسط أي في المغرب العربي وهي منطقة فلاحية ممتازة والخضر البقلوطية مشهورة في كل مكان وهي أيضا منطقة صناعية ولو أنها تنشىء اليوم بصفة فوضوية. فنسيجها مشهور وخاصة نسيج الصوف والحرير الطبيعي وأما تصبير السمك فيها معروف منذ العصور الحجرية وكذلك زيت زيتونها.

* أنظر كتاب الاستاذ **عبد القادر المصمودي** وهو من مواليد المهدية:
MAHDIA - Etude de géographie urbaine (1984)

وهي أهم منطقة ثقافية اذ أنها أنجبت رجالا.

﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم
مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ٣٣ -

رجال أثروا في النشاط الحضاري على الصعيدين القومي والعالمي في ميادين عديدة ومختلفة.

★

ب ـ وصف المهدية

ان المهدية مدينة في شبه جزيرة رأس افريقيا تمتد في البحر على بعد كيلومترين* كالسفينة في البحر متجهة نحو المشرق** تحوي ربوتين على ارتفاع ٢٥ مترا وتتصل بالقارة الافريقية بشاطئين على شكل هلالين طول كل منهما ٢٠ كيلومترا وشواطئها رملية جميلة جدا ووراءها غربا جبل يمتد عموديا من الشمال الى الجنوب على ارتفاع ٣٠ مترا وبينهما أي بين الجزيرة والجبل سبخات عديدة مالحة ولكن ماءها عذب في المناطق الاخرى كهيبون ورجيش وغيرها.

أرضها رملية وأحيانا صخرية من صخور العهد الارضي الثالث أو الرابع.

المهدية من الطائرة.

* أنظر كتاب الاستاذ **عبد القادر المصمودي** وهو من مواليد المهدية:
MAHDIA - Etude de géographie urbaine (1984)

** أنظر كتاب الوزير السابق **محمد المصمودي** وهو من مواليد المهدية :
Les Arabes dans la Tempête (1977)

★

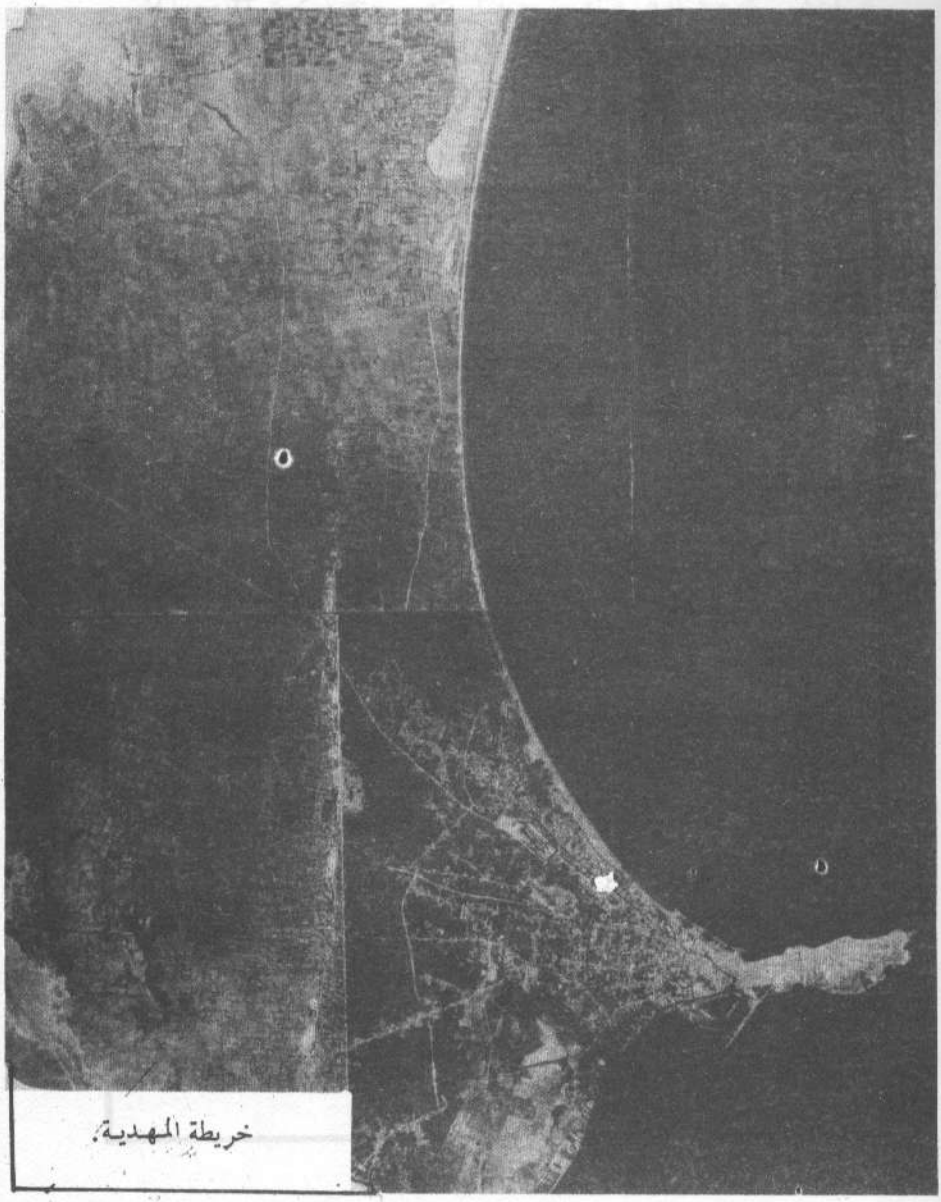

خريطة المهدية.

ج ـ تطورها

اذا اعتبرنا توطر المهدية عبر العهد الارضي الرابع فاننا نلاحظ أولا أن معدل تركيب أرض المنطقة هو كالآتي:

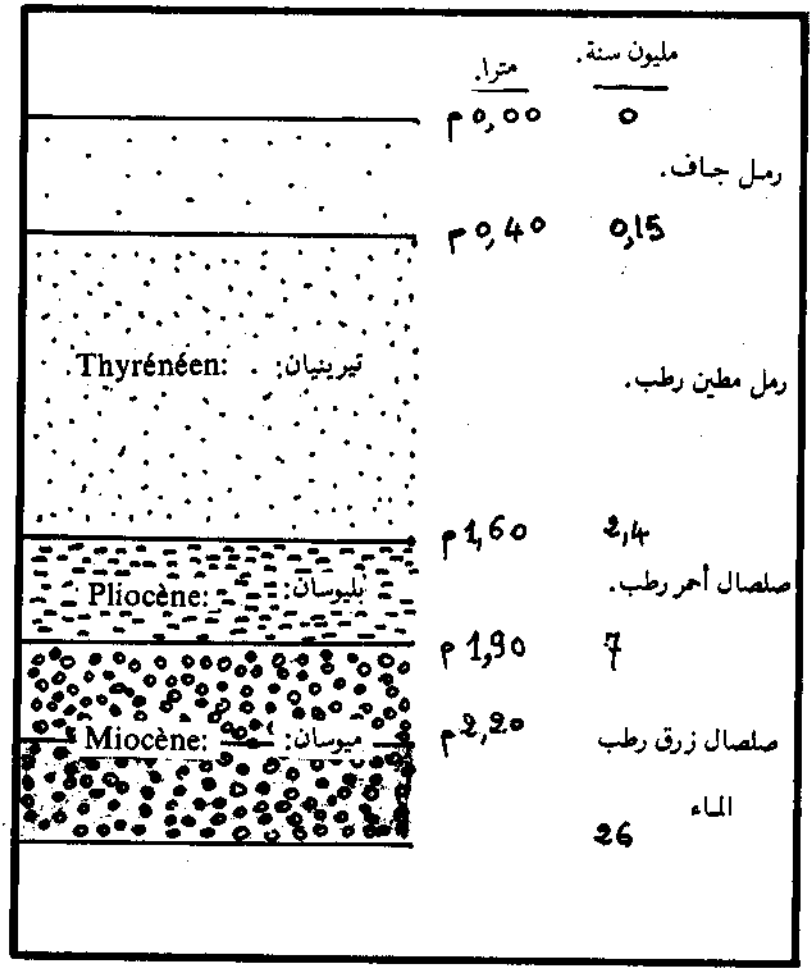

تظهر الطبقة الصلصالية الاولى وكذلك الثانية في البحر وقد اكتشفتُ ذلك منذ سنة ١٩٤٣ اذ أنني صنعت في تلك السنة مع صديقي محمد الصفاقسي جهاز تنفس منفرد تحت الماء بعد تحوير أدخلناه على جهاز تنفس موقي للغازات السامة تركه الجيش الالماني عند مغادرته تونس في الحرب العالمية الاخيرة وكذلك صنعنا بندقية بحرية لصيد السمك في الماء وكان هذا الجهاز سابقا بسنوات عديدة للآلات البحرية التي أصبحت تباع في الاسواق وعندما كنت أصطاد السمك وأنا غائص في البحر لاحظتُ وجود بقايا حيوانية عديدة قديمة جدا مغروسة في الصلصال البحري فمن ذلك وجدت قشرات سلحفاة وأسنان حيوانات ضخمة وكذلك لاحظت وجود طريق مبني في البحر... وكنت مندهشا من تلك الاكتشافات التي لم أستطع تفسيرها يومها.

والمعلوم أنه خلال العهد الارضي الرابع مرّت الارض بفترات جليدية عديدة وقع مد البحر فيها والجزر الى عمق مائة متراً أي بمسافة ١٥٠ كيلومترا في البحر كما سنراه في الفصل القادم.

وزيادة على المدّ والجزر الجليدي الشاسع يوجد مدّ وجزر أضعف منه يقع اثر الزلازل البحرية مثلاً أو نشاط البراكين البحرية كما سيتبين لنا في الفصل القادم.

★

د ـ مستقبلها

«يقول* المقريزي في كتابه "المقفى" نقلا عن مؤرخ القيروان ابراهيم الرقيق: «فلما كانت سنة ٣٠٠ هـ ٩١٢ م خرج المهدي بنفسه الى تونس يرتاد لنفسه موضعا على ساحل البحر يتخذ فيه مدينة. فلم يجد بقرطاجنّة الى تونس أحسن ولا أحصن موضع "المهدية" وهو جزيرة بالبر كهيئة كف متصل بزند فتأملها فوجد فيها راهبا فقال له: "بما يعرف هذا الموضع؟" فقال: "يسمى جزيرة الخلفاء والذي يليها من البر يسمى أرض جمّة". فأعجبه هذا الاسم فبناها وجعلها دار مملكته».

فاختيار عبيد الله المهدي لهذا الموقع عاصمة لخلافة اسلامية ليس صدفة ولكنه أمر يمليه المناخ والظروف الطيبة جدّا التي قليلا ماتوجد على سطح الارض وقد أصاب عبيد الله المهدي في اختياره اذ أن حفيده المعزّ لدين الله الفاطمي انطلق من المهدية وأسس مدينة **القاهرة المعزّيّة** التي مازالت منارة العروبة والاسلام ثم وصل الى الهند.

فلذلك لما لاحت في الافق يوم ١٢ يناير سنة ١٩٧٤** بشائر توحيد المغرب العربي في اسم **الجمهورية العربية الاسلامية** والتي ضمت تونس وليبيا وستضم الجزائروالمغرب وموريطانيا إنشاء الله قلتُ للخاص والعام ان هذا النسر العظيم المطل على البحر الابيض المتوسط شامل كل جنوب شواطىء هذا البحر والفاتح جناحيه عليه بمسافة ألفي كيلومترا شرقا وألفي كيلومترا غربا لا يكون مركزه الا مدينة **المهدية** النافذة في وسط البحر نفسه محفوفة بالقيروان وسوسة ذلك المثلث ذو الاضلاع الثلاثة بطول ٦٠ كيلومترا تقريبا المتكامل في التاريخ والمستقبل يكون أحسن **عاصمة** للجمهورية العربية الاسلامية التي هي

* أنظر كتاب السيد **طيب الفقيه أحمد** وهو من مواليد المهدية: **المهدية عبر التاريخ** صفحة ٤٥ (١٩٧٩).

المغرب العربي كله.

والمعلوم أن بلدين اثنين ليس لهما اسم: تونس والجزائر فاسم تونس واسم الجزائر هما اسما مدينتين: مدينة تونس ومدينة الجزائر أما البلدان فليس لهما اسم لانهما لم ينفصلا في التاريخ عبر كل العصور منذ العصور الحجرية وانشاء الجمهورية العربية الاسلامية يمثل ثبوتا متحتما ومصيريا الى الاصالة الحقة والواقع الحي وهي أصالتنا العربية الاسلامية.

فمستقبل المهدية هو مستقبل المغرب العربي ومصير المهدية هو مصيره والمغرب العربي على شكل جمهورية عربية اسلامية آت باذن الله.

★ ★ ★

•• راجع تصريح وزير خارجية تونس آنذاك السيد **محمد المصمودي** لاعلان تأسيس **الجمهورية العربية الاسلامية** حسب اتفاق جربة وليس صدفة أن أحد أبناء المهدية هو الذي يصرح بذلك الحدث العظيم.

٢ ـ الاكتشاف

أ ـ مد البحر
ب ـ التجليد العام
ج - المواقع المبحوثة
د ـ العمل الباقي

أ ـ مد البحر

في ليلة ٢٠ جانفي ١٩٨١ هاج البحر بصفة غير عادية وحطم جل المباني والجسور الواقعة على الشواطىء التونسية. فتحطمت واجهة داري التي بنيتها منذ ١٩٧٠على شاطىء المهدية الشمالي في المكان المسمى ظهر البديري قرب هيبون ونزع البحر كل رمال الشاطىء فظهرت تحتها الطبقة السفلى الصلصالية.

ووجدت آثار أسس ديار مرسومة في الصلصال كانت مبنية هناك منذ زمن بعيد فحطمها البحر قديما وغطاها بالرمال اذ أنها توجد الآن في البحر نفسه واكتشفت بقايا الآبار المنزلية وكذلك أحجار جديدة في أحجام مختلفة تدل على أن هذا المكان كان معمورا منذ زمن طويل فمنذ ذلك الوقت أصبحت التقط كل الاحجار التي أجدها وأدرسها دراسة دقيقة.

ويجدر بنا أن ندرس الآن لماذا هاج البحر بصفة غير عادية علما بأن الحدث كان عاما وغير محليا اذ أن الاضرار لحقت بكل الشواطىء التونسية.

فلم يكن هذا الهيجان نتيجة عاصفة جوية اذ أنها لم تدم الا بعض دقائق ان لم نقل بعض ثواني وقد كان البحر هائجا فعلا طول اليوم كعادته أي ليس بالشدة التي تكسرت اثرها المباني.

اذا كان الامر ليس نتيجة عاصفة جوية فيتساءل المرء هل هو نتيجة تحركات بركانية بحرية والمعلوم أن براكين بحرية عديدة توجد بين تونس وايطاليا أي على حدود الصفيحتين الافريقية والاوربية

الدار تكسرت نتيجة هيجان البحر ليلة ٢٠ جانفي ١٩٨١

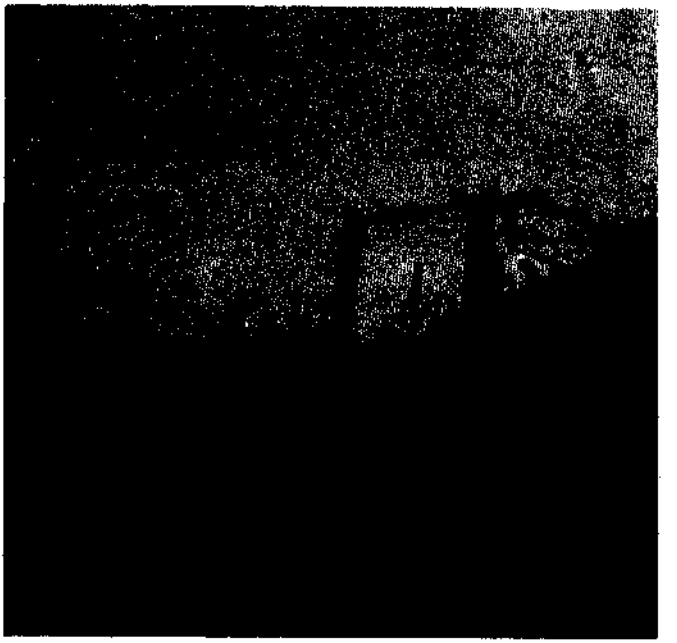

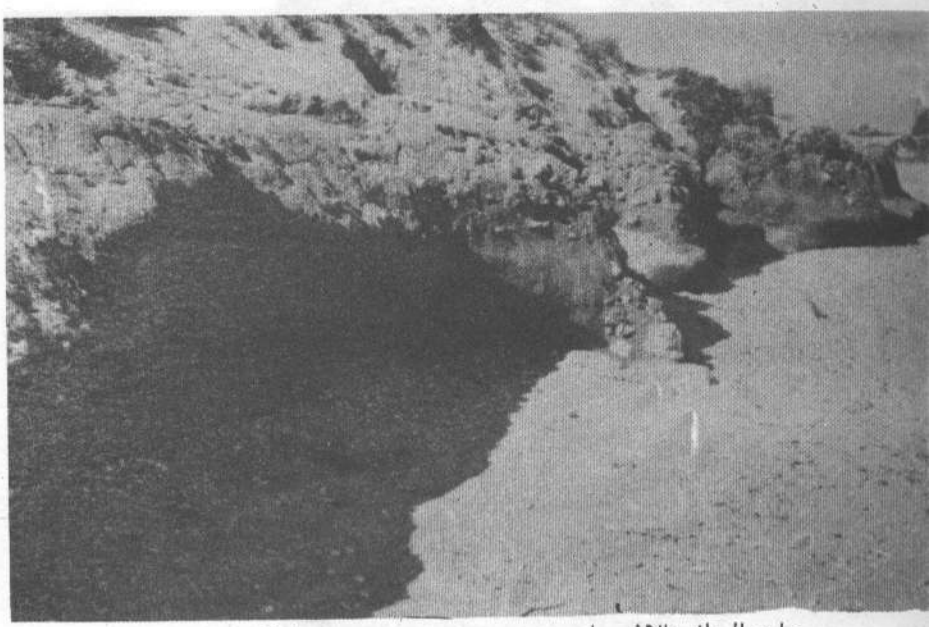

حملت الرمال والاشجار.

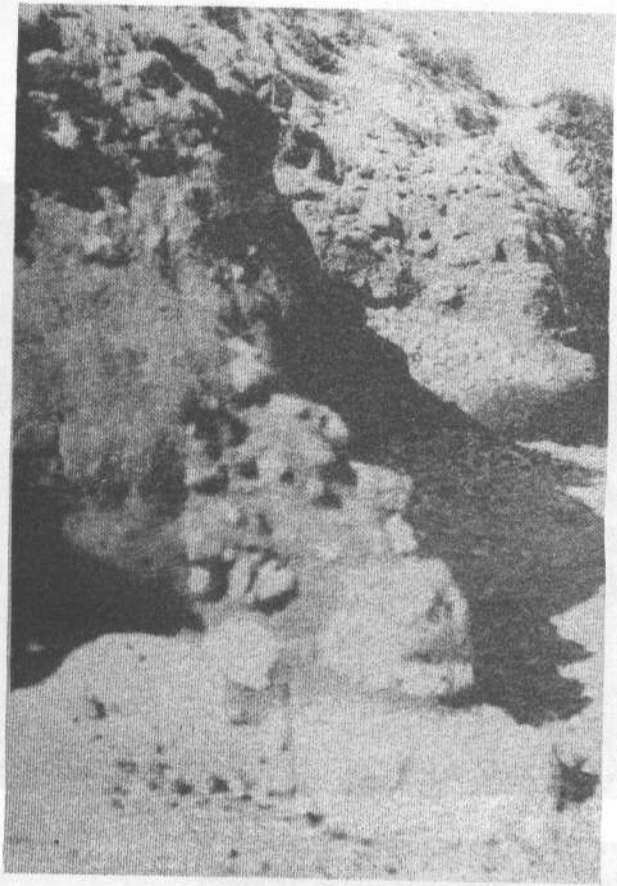

ظهرت آثار مباني وأحجار غريبة.

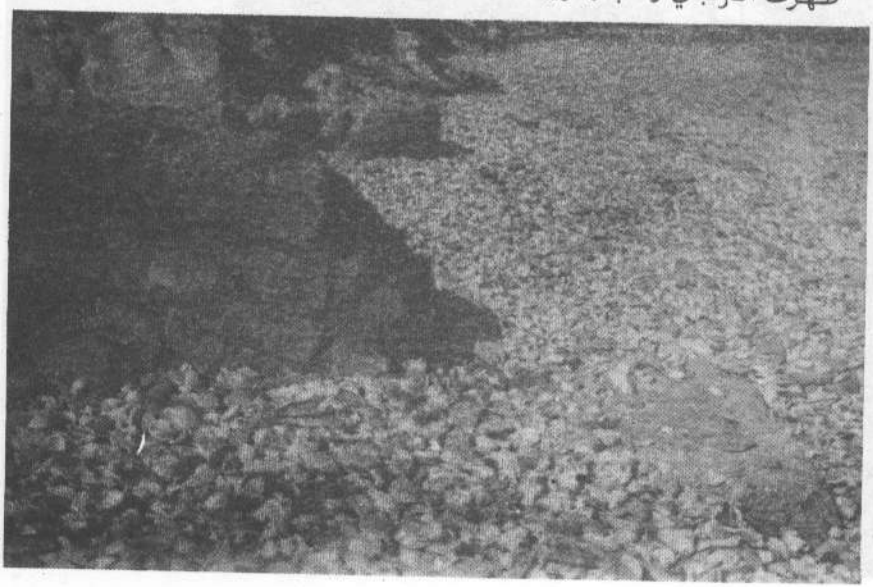

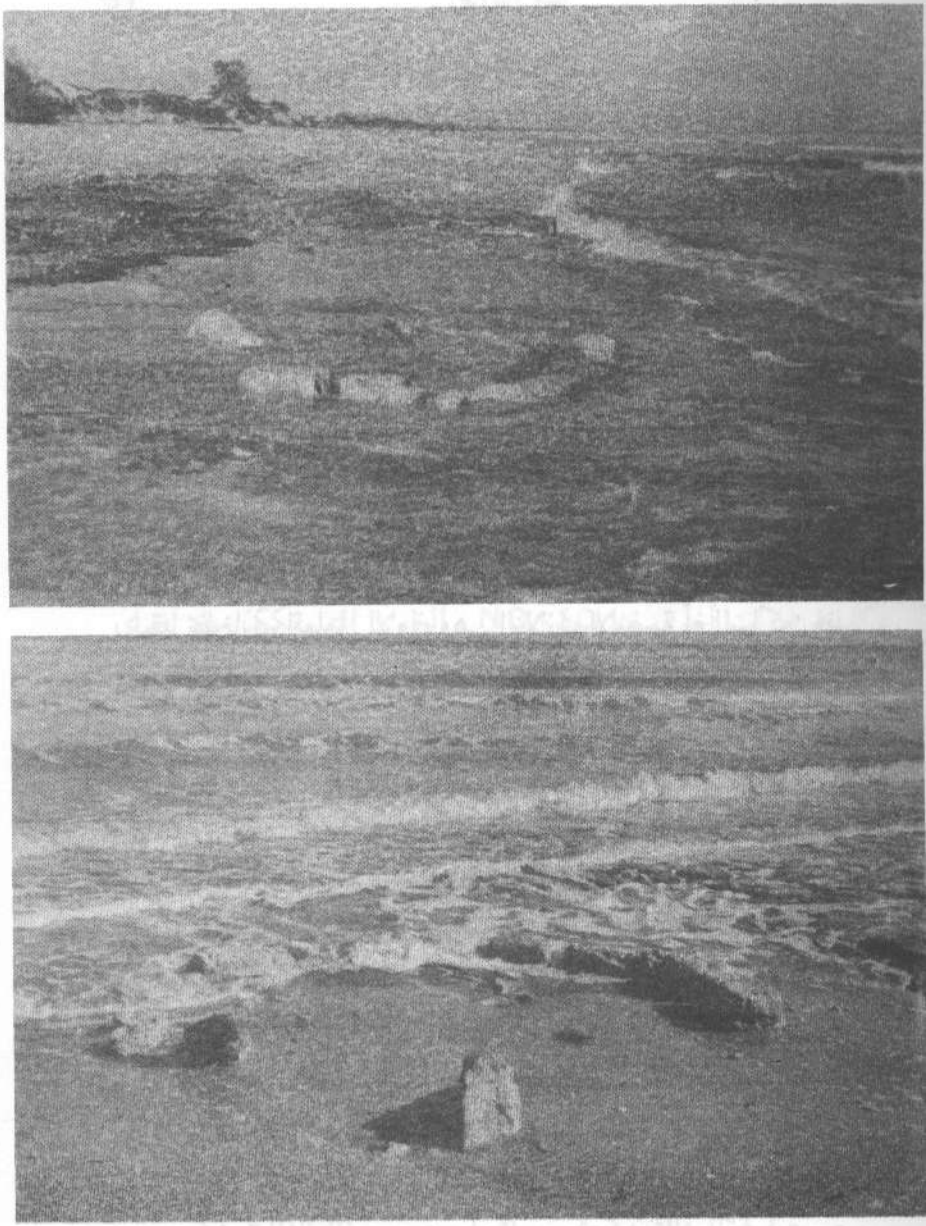

انكشفت آثار آبار وأسس مرسومة في الصلصال.

الآسيوية. وهي الآن ساكنة ولكن يحتمل أن تنشط يوما ما واذا كان الامر كذلك لدامت العاصفة البحرية طويلا وتكررت على نسق نشاط البراكين المعروف.

فلم يبق لنا سوى تفسير ربما يكون مقبولا منطقيا وهو أن هيجان البحر المذكور كان نتيجة زلزال بحري وقع بين تونس وايطاليا على حدود الصفيحتين المذكورتين. فبعد الزلزال ببرهة قصيرة من الزمن رجع البحر الى موقعه الاصلي تاركا الشواطىء عارية من رمالها تظهر أن المنطقة كانت معمورة عمرانا مكثفا منذ زمن طويل.

فمد البحر هذا الذي عشناه يبين لنا أن للبحر مد وجزر منذ ملايين السنين اثر الزلازل ونشاط البراكين والتجليد العام وهي أهم العوامل التي ينتج عنها مد البحر وجزره.

لقد نظرنا في العامل الاول وهي الزلازل الارضية أم البراكين فهي موجودة بين تونس وايطاليا كما ذكرنا وما سواد رمال شواطىء الدخلة التونسية الا نتيجة نشاط تلك البراكين ذات التأثير الظرفي والمد الضعيف كالزلزال المذكور.

ولكن البراكين البحرية عديدة بين تونس وايطاليا وقد نشطت كثيرا في العهدين الارضيين الثالث والرابع حيث أنها تخرج دخانا مختلف التركيب يحوي غازات كالغاز الفحمي CO_2 الذي يتفاعل مع الاملاح الذائبة في ماء البحر حسب التوازن الكيميائي الآتي:

$$H_2O + CO_3Ca \rightleftharpoons Ca(OH)_2 + CO_2$$

أي اذا كان جو الارض مشبعا بالغاز الفحمي يتكون في ماء البحر ملح لايذوب فيه وهو CO_3Ca الحجارة الكلسية كالحبات الصغيرة على نسق فقاع الغاز الفحمي ثم يكبر حجمها قشرة فوق قشرة بموجب كثرة الغاز الفحمي في ماء البحر وتتكون تلك القشرات حتى

على حبات الرمل أو على الحجارة الاخرى بمختلف أحجامها.

فتلتئم هاته الحبات الحجرية وتتكاثف فترميها أمواج البحر على الشواطىء وتُسيّرها الرياح كالكويرات تدور وتتكوّر وتلتمّ الى أن يتكوّن منها تلّ فتلتصق الحبات الحجرية مع طول الزمن وتصبح حجارة تتكون منها الجبال كالتي توجد بين سلقطا وقالطة مارّا بالمهدية وجبال الهوّارية وشواطىء ايطاليا وغيرها... وهي كلها من أصل الغازات البركانية.

وتوجد أيضا في الدخان الخارج من البراكين غازات أخرى ينتج عنها توازنات أخرى كالتوازن الذي ينتج عنه الفسفاط: P_2O_5

$$Ca_3(PO_4)_2 + 3H_2O \leftarrow 3Ca(OH)_2 + P_2O_5$$

فتتكوّن هكذا الفسفاط التونسي من غازات البراكين البحرية وكذلك غازات أخرى مثل SO_2، NO_2 ، الخ... التي تكوّن مواد أخرى وقد قال الله تعالى:

﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ -٧٩-

«أخرج منها ماءها» قد فسرته في فصل «الماء» من كتاب **لله العلم**
«ومرعاها» أي ما يرعى الانسان من جوّ وحجارة لبناء البيوت وفسفاط أسمدة النبتات الخ... كل ذلك يرعى الحياة على الارض. والمعلوم اليوم أن جو الارض من أصل بُركاني وكذلك الحجارة وغيرها...

وأما التجليد العام فهو عامل هام ندرسه بدقة في الفصل القادم.

★

ب ـ التجليد العام

ان دراسة طبقات الارض تدل على أن الارض مرت منذ زمن طويل بعصور جليدية مكثفة حيث أن البرد كان شديدا أحيانا على كل الكرة الارضية فيتبخر ماء البحار والمحيطات وتنزل ثلوج لا تذوب من شدة البرد وتتراكم كالجبال فتتسع رقعة القطبين شيئا فشيئا وكانت في تلك الفترات توجد الثلوج الدائمة على مرتفعات الاطلس في المغرب العربي.

فالبحار والمحيطات تتبخر و ينقص ماءها دون أن ترجع اليها الوديان تلك المياه فينخفض سطح الماء في البحار والمحيطات وقد انخفض مرات عديدة الى أكثر من مائة متر وهذا يدل على أنه في تلك الفترات كان البحر يتحول الى أرض يابسة الى بعد ١٥٠ كيلومترا شرقي المهدية أي الى مسافة أبعد من موقع جزيرتي لنبدوشة ونموشة وحتى الى بعد ٢٠٠ كيلومترا في اتجاه جنوب شرق المهدية فكانت تظهر أمام المهدية أرض يابسة طولها ٣٠٠ كيلومتراتقريبا من الشمال الى الجنوب وعرضها ١٥٠ كيلومتراتقريبا من الشرق الى الغرب ولم يبق فاصلا بين تونس وايطاليا سوى بحر ضيق يتمثل في «خندق صقلية» الذي توجد فيه جزر قوصرة ومالطة.*

وقد ظهرت أيضا اراضي يابسة عديدة في البحور والمحيطات حتى ان الانسان البدائي استطاع أن يتنقل من قارة الى قارة أو من قارة الى

---

* مقال **الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب** في كتاب «ورقات» عن الحضارة العربية بافريقيا التونسية (القسم ٢ ـ صفحة ٢٨١...)الناشر مكتبة المنار تونس ١٩٦٦ **بعنوان: قصّة جزيرة قوصرة العربية (قوصرة: Pantellaria)**

جزر منعزلة كان الاتصال بها صعبا ومثل ذلك هو عبور جبل طارق الذي سهل اثره انتشار الانسان من افريقيا الى أوروبا وعبور ممر بيرينق الذي سهل انتشار الانسان من آسيا الى أمريكا وعبور المضيق الذي كان بين آسيا واستراليا ومنه انتشر الانسان في استراليا...

والارض اليابسة التي ظهرت أمام المهدية منبسطة تحتوي على وديان* ومستنقعات عديدة بلا جبال ولذلك يوجد اليوم في البحر على كل سطح الصفيحة المهدوية المذكورة والعائمة الآن في الماء آثار وديان وكذلك آثار بناء وعمران في البحر وقد عثر أيضا على طريق مبنية في البحر أمام شواطىء امريكا الجنوبية...

والعصور الجليدية عديدة والاقرب الينا في الزمن هو الذي نعرفه بأكثر دقة.

والسؤال الاخير الذي ينبغي علينا أن نجيب عنه هو: لماذا ظهرت هذه العصور الجليدية أي لماذا بردت الارض هذا البرد الشديد ؟

ان عوامل برودة الطقس على سطح الارض عديدة أهمها هو انخفاض شعاع الشمس الساطع على الارض اذ أن جل حرارة الارض تنبع من الشمس. و ينخفض شعاع الشمس نتيجة تراكم سحاب حول الارض أو بين الارض والشمس وهذا ممكن لانه تستطيع البراكين أن تنشط نشاطا شديدا يتكون اثره سحاب مكثف حول الارض فتحجب الشمس عنها. هذا ما هو ممكن أن يقع في جو الارض نفسه أما في سماء الفضاء فيحتمل أن تصل حول الارض مذنبات عديدة مثلا تنشر غازات في السماء الفضائي حول الارض فتحجب اثره الشمس أيضا.

واليوم اذا نشبت حرب بين البشر وانفجرت فيها العشرات من

* أنظر مقال الدكتور صلاح الدين التلاتلي: «الوديان البحرية في الصفيحة القارية التونسية». صدر في جريدة La Presse (81/9/25) في ٨١/٩/٢٥ صفحة ٥.

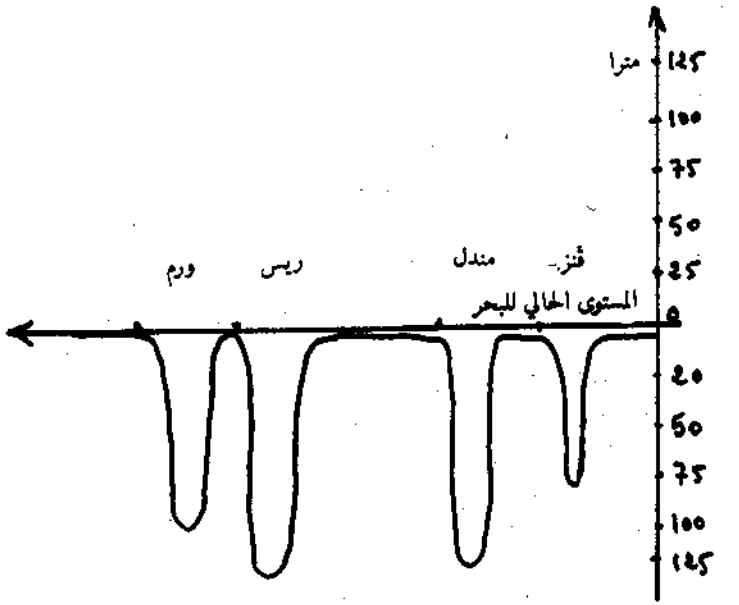

انخفاض مستوى سطح البحر عند الجليد

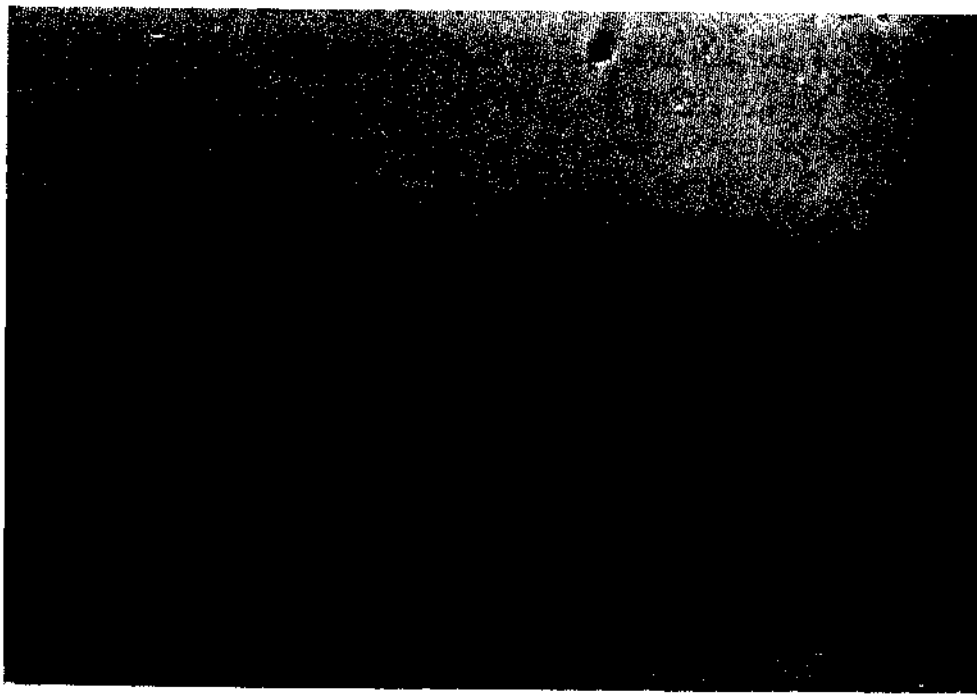

تكوين الكهوف بفضل العوامل الطبيعية.

القنابل الذرية في وقت قصير يتراكم السحاب الذري حول الارض في الجو عاليا و يبقى سنوات قبل أن يسقط على سطح الارض وتحجب الشمس عن الارض في تلك الفترة الزمنية و ينخفض شعاع الشمس عليها فتبرد تدريجيا و يتكون جليد عام مثلما وقع في العصور الجليدية القديمة وهذا يدل على أن حربا نووية جهوية محدودة في المكان غير ممكنة لان الضرر يعم في كل الارض بما في ذلك البلد الذي فجر القنابل الذرية وهذا ما يسمى «الجليد النووي» أو «الشتاء النووي».

★

ج-المواقع المبحوثة

فلما لاحظت ذلك فهمت أن المنطقة كلها كانت معمورة منذ زمن طويل وخرجت أبحث في كل المنطقة من رأس الديماس شمالا الى سلقطا جنوبا ومن البحر شرقا الى الجبل غربا فوجدت فعلا نفس الشيء في كل مكان كما سأبينه.

والمتأكد الآن أنه يجب علينا أن نبحث في جزيرتي لنبدوشة ونموشة فاذا وجدنا فيهما نفس الآثار هذا يدل على أن هاتين الجزيرتين ليستا تونسيتين لانهما جزء من الصفيحة البحرية المهدوية فقط بل أيضا لانهما مسكونتين من طرف تونسيين منذ العصور الحجرية.

وفي الموقع المسمى «الصفيحة» على الشاطىء الشمالي بين «الغرفة» و «الصفيحة» توجد أحواض على أشكال مختلفة كشفها البحر عند هيجانه مساحتها تتراوح بين متر مربع وعشرة أمتار مربعة كانت يصبر فيها السمك وتغلف بشيء يحكم وثاقه بفضل حبال تربط في ثقب منحوتة في الصخر وبما أن موج البحر يصل اليوم الى تلك الاحواض فهذا يدل على أن في ذلك الزمن كان البحر بعيدا عن الاحواض أي أن مستواه كان منخفضا عما نعرفه اليوم. فتاريخ تلك الاحواض اذن لا يكون الا أكثر من عشرة آلاف سنة اذ أن الطقس سخن منذ ذلك الوقت وذابت الثلوج ومد البحر الى حالته التي نعرفها اليوم.

وتوجد أمام هيبون في البحر طريق مبني...

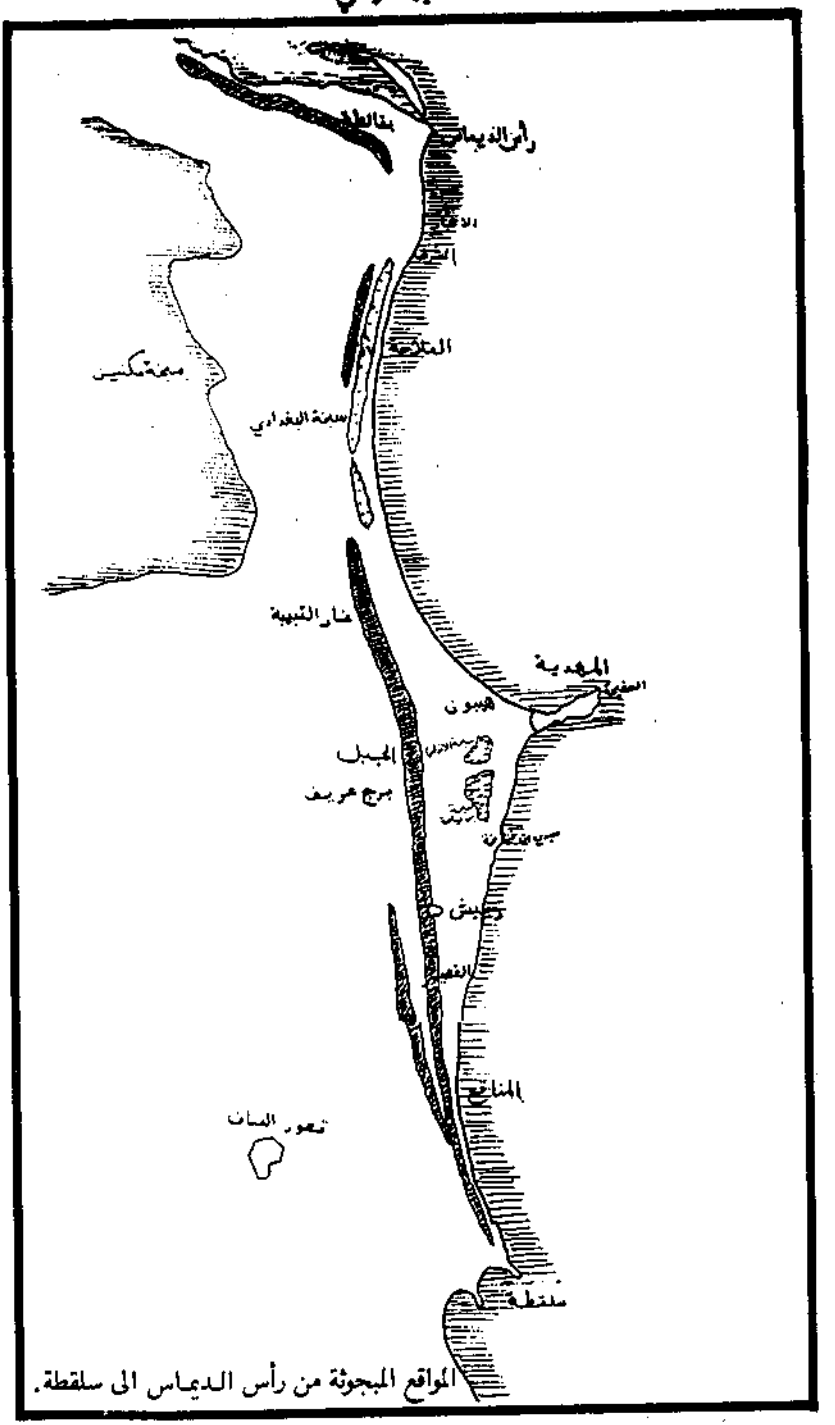

المواقع المبجوثة من رأس الديماس الى سلقطة.

د ـ العمل الباقي

ان كل شبر من أرض منطقة المهدية ملآن آثارا تاريخية فاني لم أستطع حفر الكهوف العديدة الموجودة في جبل المهدية خاصة كهوف «القصيّر» برجيش و «القصير» هذه هي مدينة تتركب من كهوف في العصور الحجرية محفوظة اذ أنها مردومة بالتراب لا يظهر منها الا رؤوس الكهوف.

ولم أستطع كشف أهم كهف في المنطقة وهو «غار التبيبة» الذي ينبغي بحثه ودراسته بدقة.

وبقي أيضا التنقيب في البحر نفسه اذ أنه كان مسكونا عندما كان أرضا يابسة كما بيناه. وقد وجدت أمام المكان المسمى "بيت الجديدي" في شاطىء هيبون مرسى قديما جدا يرجع تاريخه الى العصور الحجرية اذ أن مرساة السفن التي اكتشفتها كانت مصنوعة من الاحجار المنحوتة لا من المعدن وكذلك موقع المرسى يدل على أن البركان وراء الحد الحالي بعشرين مترا تقريبا ومستواه منخفض تحت المستوى الحالي بثلاثة أمتار تقريبا أي تاريخ المرسى يمكن أن يكون بين عشرة آلاف وعشرين ألف سنة وفي ذلك الوقت لا يعرف الانسان المعادن والاحجار التي بني بها هذا المرسى تشبه كثيرا حجما وشكلا الاحجار الموجودة أمام «سيدي الظهّار» والمبنية من الشمال الى الجنوب كأن صور البلاد في العصور الحجرية كان يقف في المكان المسمى «دبدوبة السوق» مثلما كان يقف صور المدينة في العهد الفاطمي على بعد خمس مائة مترا من هذا المكان في «السقيفة الكحلاء».

غار الصبية.

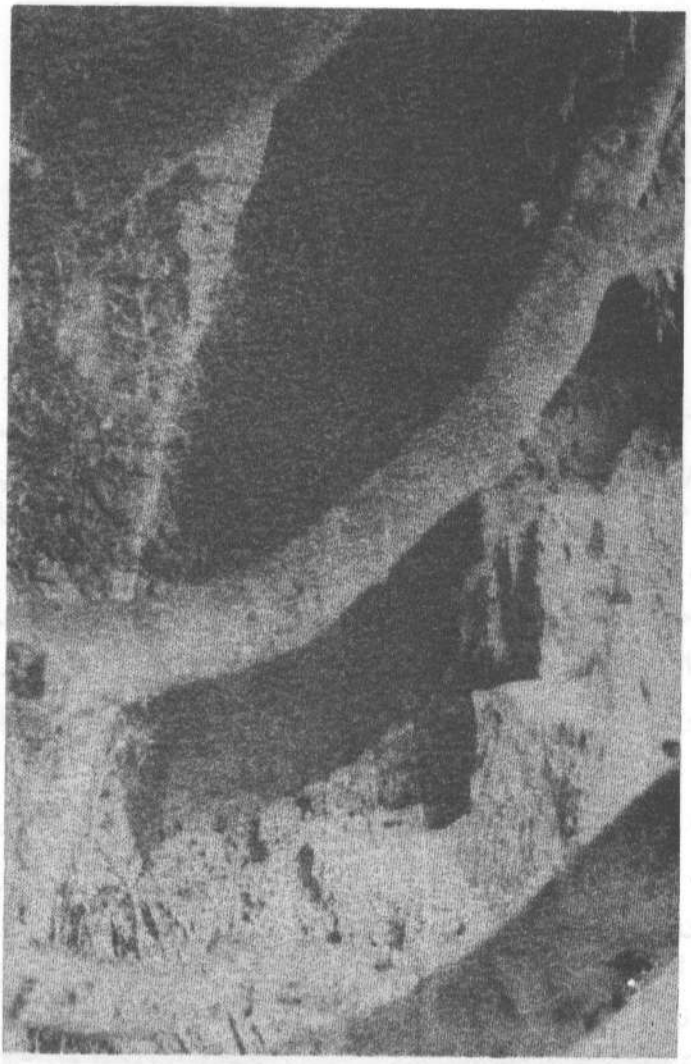

غار التبيبة.

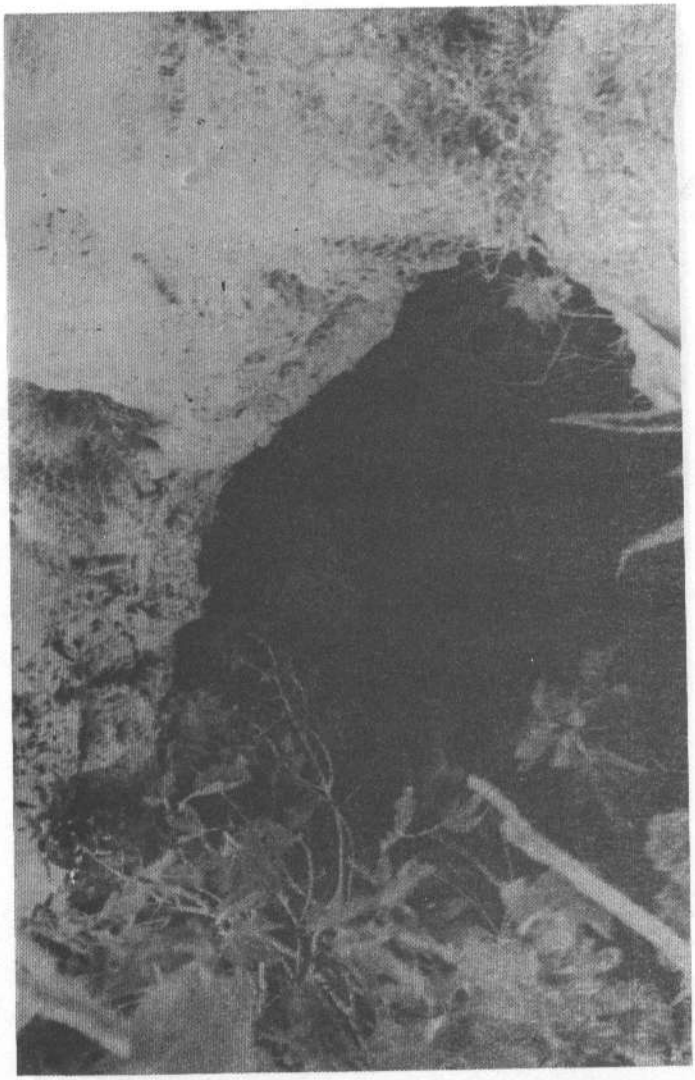

غار التبيبة.

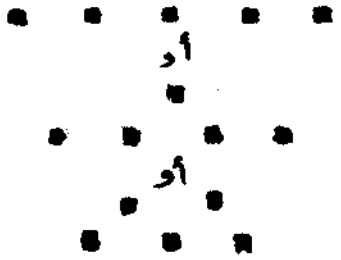

الشبكة المائية..

وكنت أبحث وأنقب في بيتي فقلة امكانياتي وضخامة العمل جعلتني أحتال كلما استطعت لأجتاز العقبات التي كانت تعترضني وأذكر مثلا هذا الاسلوب في التنقيب البحري الذي كان ناجحا وأعانني كثيرا في البحث.

وهو يتمثل في صنع خمسة أحجار من الخرصان المسلح طول الواحد منها ٠،٦٠ مترا وعرضه ٠،٤٠ مترا وعمقه ٠،٤٠ مترا وضعتها على بعد عشرين مترا من شاطىء البحر كالشبكة المائية على أشكال أغيّرها يوميا.

وفي كل شكل يهيج البحر في بعض الاماكن وان كان هادئا في أماكن معينة من الشاطىء و يكثر هدوءه في أماكن أخرى فيحفر الشاطىء في البقاع الهائجة ويخرج ماكان يخفيه و بعد يوم تقريبا يصل البحر الى توازن جديد فيهدأ مرة أخرى فأغير شكل الشبكة مرة أخرى فيهيج ثانية ويخرج ما يخفيه في بقاع أخرى الخ...

ولكن العمل مازال طويلا وكبيرا ومواصلته تثري العلم والمعرفة الانسانية بالنتائج التي ستحصل ان شاء الله.

★ ★ ★

٣ ـ الادوات الحجرية

أ ـ تعيين التاريخ
ب ـ تاريخ الادوات الحجرية
ج ـ ترتيب الاداوات الحجرية
د ـ مواصلة البحث

أ ـ تعيين التاريخ

ان الوسائل الحديثة لضبط تاريخ الادوات المكتشفة عديدة نذكر منها:

١ ــ الفحم ١٤
٢ ــ البوتاسيوم ــ ارغون
٣ ــ علم الاحاثة
٤ ــ علم الطبقات
٥ ــ جداول الادوات الحجرية

١ ــ التأريخ بالفحم ١٤: ان الشعاع الكوني الساقط باستمرار على الارض يتفاعل مع كل ما في الجو وخاصة مع النيتروجان ١٤ الذي يمثل ٤/٥ من حجم الهواء حسب التفاعل الآتي فينتج عنه الفحم ١٤ الذي هو عنصر غير ثابت:

$$N^{14} + n \longrightarrow C^{14*} + p$$

النيتروجان — نيوترون — الفحم ١٤ — بروتون

ثم: $C^{14*} \leftarrow N^{14} + \beta + 0{,}155$ مقالكترونفولط.

فيتحول الفحم ١٤ الى نيتروجان ثابت بدورة نشاط اشعاعي تساوي ٥٥٦٨ سنة أي أن بعد ٥٥٦٨ سنة تصبح كمية الفحم ١٤ نصف ما كانت عليه.

هـذه المعدات تستعمل أيضا لقياس شعاع C^{14} وK^{40} للتاريخ وكـانـت جـاهـزة للعمل في الستينات بخبراء تونسيين في مركز تونس ــ قرطاج للبحوث النوو ية الذي وقع تخريبه واتلاف هذه الاجهزة العصرية.

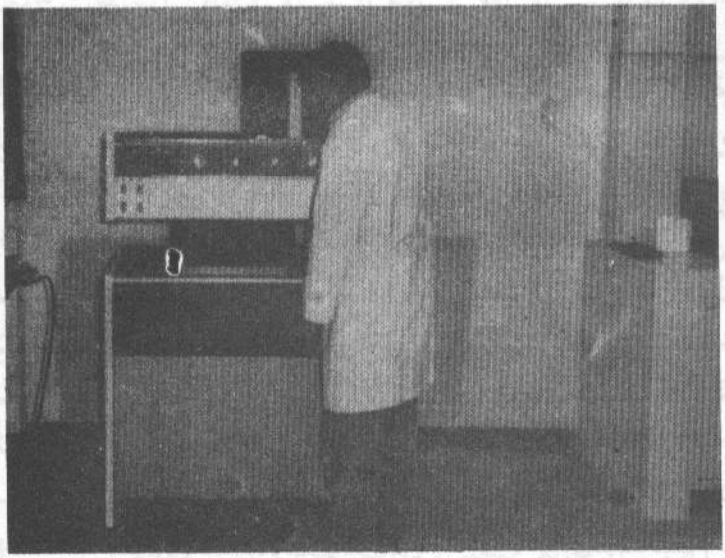

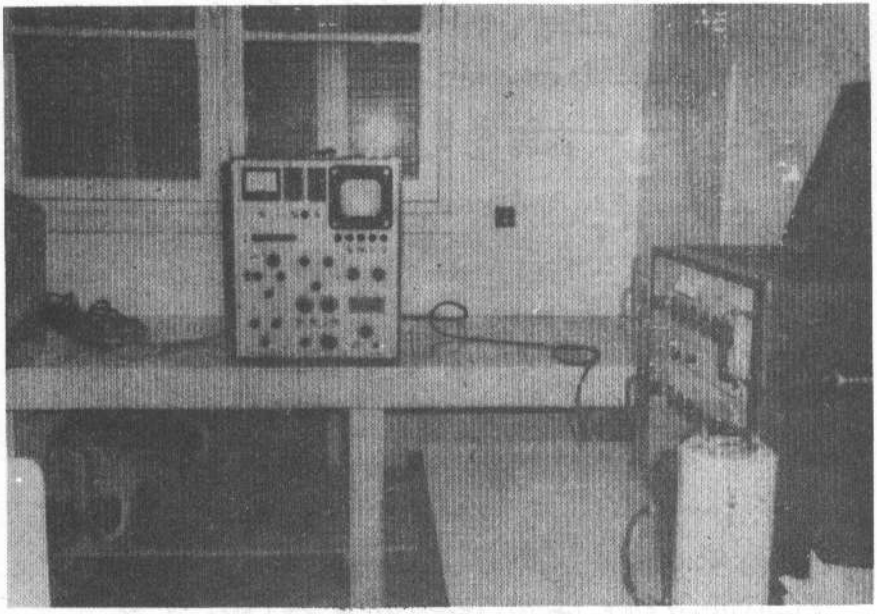

ولكن الفحم ١٤ عند تكوينه يمتزج مع الفحم ١٢ الطبيعي فتمتصهما الكائنات الحيّة بدون تفريق بينهما فيتكوّن توازنٌ في كل المخلوقات الحية على الارض تكون فيها نسبة الفحم ١٤ في الفحم الطبيعي ثابتة بمقدار ذرة من الاول بمليون ذرة من الثاني. فاذا افترضنا أن الشعاع الكوني لم يتغيّر منذ آلاف السنين نستطيع أن نحدد تاريخ وفاة أي كائن حي لانه عندما يموت ذلك الكائن الحي تتواصل فيه عملية التحطيم النووي للفحم ١٤ الذي يتغيّر الى نيتروجين دون أن يستوعب من المحيط فحما ١٤ آخر اذ أنه ميت وتنخفض هكذا شيئا فشيئا نسبة الفحم ١٤ في الكائن الميت. فاذا انخفضت هذه النسبة الى النصف فقد مرت فترة زمنية طولها ٥٥٦٨ سنة أي أن الكائن الحي مات منذ ٥٥٦٨ سنة واذا وجدنا النسبة ربعا فقد مات الكائن منذ ٢ × ٥٥٦٨ = ١١١٣٦ الخ... حيث أن بعد ٥٠٠٠٠ سنة تنخفض نسبة الفحم ١٤ في الكائن أقل من جزء من العشرين أي الى نسبة صغيرة جدا والمعادلة التي تربط الزمان الذي مرّ منذ وفاة الكائن بنسبة الفحم ١٤ فيه هي:

$$ن = ن_0 \, هـ^{\frac{ز}{5568}}$$

حيث: ن هي نسبة النشاط الشعاعي للفحم ١٤ في العينة و$ن_0$ هي نسبة النشاط الثابت لفحم ١٤ في الهواء و ز هو الزمن منذ وفاة الكائن.

فاذا اعتبرنا قطعة عظم أو خشب مثلا وأردنا تأريخه بهذه الوسيلة وجب علينا أن نحدد أولا نشاطه الشعاعي النووي فاذا وجدنا مثلا مقدار هذا النشاط ن فنكتب* اذن تاريخ العينة الذي نسميه "ز":

$$ز = 5568 \cdot \text{خو} \frac{ن}{ن_0}$$

---

* خو أي خوارزمي: Logarithme أنظر كتاب «البرهان» للمؤلف مع دكتور خليفة الشبعان ودكتور رفيق بوراوي.

وهذه الوسيلة العلمية تؤرخ الاجسام الميتة من المخلوقات كقطعة خشب أو قطعة عظم... بدقة كافية الى فترات من الزمن تتراوح بين ٠ و ٥٠.٠٠٠ سنة فقط.

٢ ــ البوتاسيوم ــ ارغون: ان عنصر البوتاسيوم غير ثابت مثل الفحم[٤] فيتحطم نووياً و يتغيّر الى عنصر الارغون ٤٠ وهو عنصر ثابت ولكن دورة نشاطه النووي كبيرة جدا وهي ١,٣٠٠ مليون سنة.

فالعملية مشابهة تماما عملية التاريخ بالفحم ١٤ غير أن الفترة الزمنية الدنيا تفوق هنا ٥٠٠ مليون سنة أي تفوق بنسبة ١٠.٠٠٠ مرّة الفترة المقدرة بوسيلة الفحم ١٤ فهي تتراوح بين ٥٠٠ و ٥٠٠٠ مليون سنة.

٣ ــ علم الاحاثة: توجد الادوات الحجرية عادة في محيط عاشت فيه كائنات حيّة في عصور معروفة كأنواع من الحلزون وأنواع من السمك... عاشت في وقت معروف وانقرضت فوجودها مع الادوات التي نعتزم تأريخها يثبت ذلك التاريخ بصفة تقريبية.

٤ ــ علم الطبقات: ان الادوات الحجرية توجد أيضا في طبقات أرضية معروفة عادة بأساليب علمية أخرى. فمعرفتنا للطبقات الارضية يدلنا على تاريخ الادوات بصفة تقريبية.

٥ ــ جداول الادوات الحجرية: ان جداول الادوات الحجرية قد دققت ووضعت من طرف هيئات علمية عديدة بعد تجميع المعلومات من كل أنحاء الارض في تاريخ الادوات واحدة بعد الاخرى فاذا وجدنا أداة في مكان لا نستطيع تأريخه ننظر التاريخ الذي صنع فيه الانسان تلك الاداة في الجداول فنحصل تاريخا كافيا عادة.

وقد نشر مثلا المركز القومي للبحث العلمي الفرنسي جدولا مفصلا في ٢٥ فترة زمنية للعصور قبل التاريخ صنعت فيها أداوت حجرية يتراوح تاريخها بين ٠ و ٦ مليون سنة.

وتوجد وسائل أخرى للتأريخ لا تستعمل الا بصفة استثنائية مثلا تاريخ التجليد أو تاريخ غبار لقاح النبتات المنتشر... والتأريخ لا يحدد عادة بوسيلة واحدة من هاته الوسائل بل بوسائل عديدة وعلى الاقل بوسيلتين لمراجعة الواحدة بالاخرى.

★

ب ـ تاريخ الادوات الحجرية

لم تكن لدي معدات لقياس النشاط الاشعاعي النووي رغم أني جهزت في الستينات بتلك المعدات مركز تونس ــ قرطاج للبحوث النووية المنسوف سنة ١٩٦٩ فلم تبق لي الا الوسائل الاخرى للتأريخ فاتبعت عدة وسائل أهمها:

ــ الجداول للادوات الحجرية المنشورة في الكتب والمجلات.

ــ علم طبقات الارض المعروف اذ أن منطقة المهدية وقعت دراستها بالتفصيل*.

ومثل الجداول:

جدول المركز القومي للبحث العلمي
الفرنسي من ستة مليون سنة الى الآن.

* أنظر أطروحة دكتورى الاستاذ **يوسف كمون** في جامعة باريس (١٩٨١) حول طبقات الارض في منطقة المهدية.

ج - ترتيب الاداوات الحجرية

واذا رتبنا الادوات الحجرية المكتشفة وعددها لا يقل عن الآلاف وجدنا باعتبار عينات مختارة أن أدوات كل العصور الحجرية موجودة وهي تتلخص في الجدول في صفحة 59 .

أدوات مكتشفة أمام غار التبيبة.

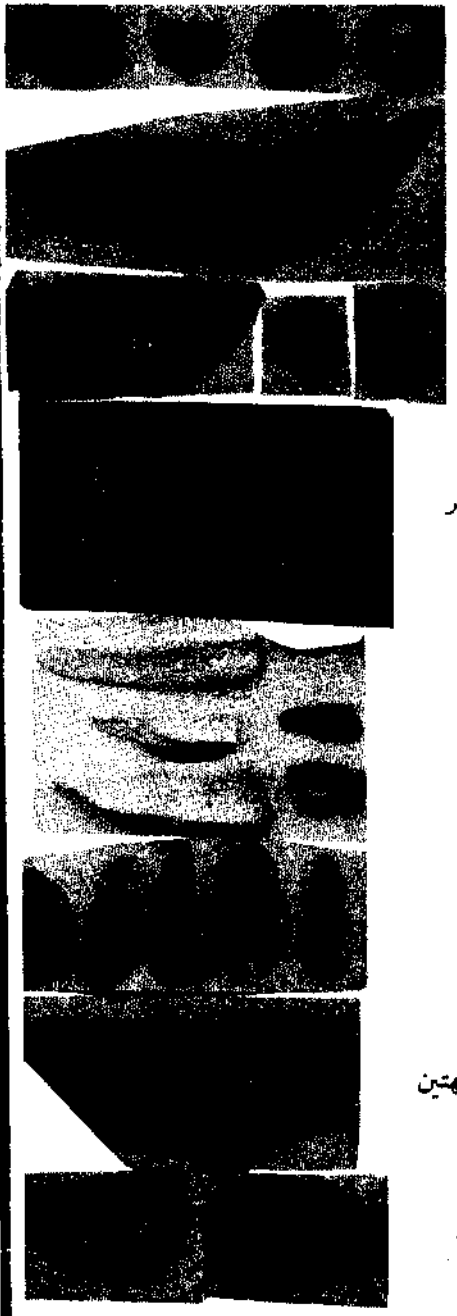
الخزف
6'000 سنة
محراث
10000 "
صور بشر
20'000 "
مقدمة أسهم من حجر الصوان
25'000 "
عظام منحوتة
35'000 "
مقدمة أسهم
80'000 "
حصى ممضاة من الجهتين
500'000 "
حصى ممضاة من جهة واحدة
(2,5-4) مليون سنة

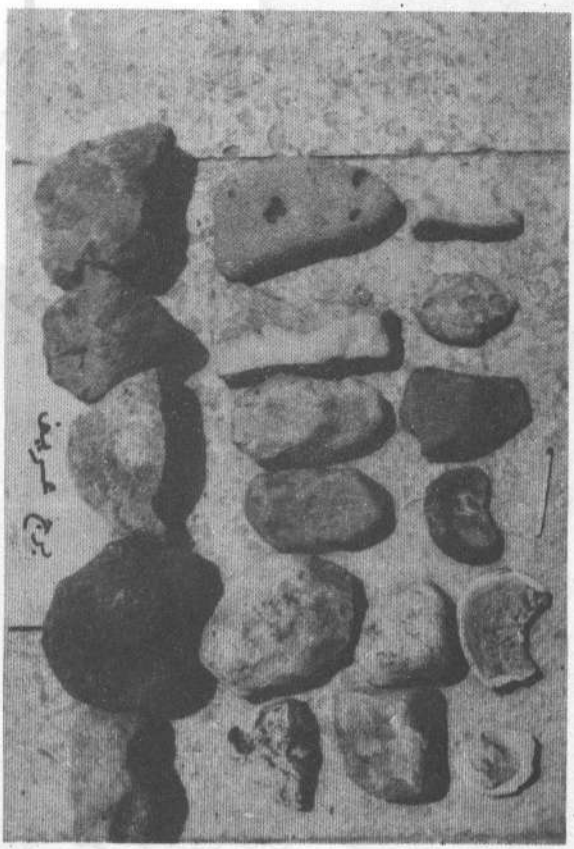

د ـ مواصلة البحث

رغما من أن الادوات الحجرية المكتشفة تغطي كل العصور الحجرية كما يتبين لنا فقد بقي مواصلة التنقيب في اتجاهات متعددة تتلخص في البرنامج الآتي:

١ ــ التفتيش عن امكانية العثور على جماجم أو عظام بشرية لتأييد النتائج المذكورة أو تدقيقها.
٢ ــ كشف الكهوف المردومة وهي عديدة والتنقيب فيها بدقة وتعمق.
٣ ــ التنقيب في البحر على الشاطىء وفي الاعماق البعيدة.
٤ ــ التنقيب في منطقة أوسع واتباع الآثار في المساحات المجاورة والشواطىء الاخرى.
٥ ــ التنقيب في جزيرتي لنبدوشة ونموشة ومحاولة العثور على نفس الآثار التي توجد على شواطىء المهدية.

★ ★ ★

٤ ـ الموجات البشرية

أ ـ الموجات البشرية الاربعة
ب ـ العصور الحجرية في المهدية
ج ـ أهم الحوادث البشرية
د ـ التنقل الآني وعلم الغيب

أ ـ الموجات البشرية الاربعة

في هذا الفصل نحاول جمع كل المعلومات المعروفة عن الموجات البشرية التي مرّت منها الانسانية ووصف حالا تهم وظروف عيشهم وتخيل منطقة المهدية في ذلك العهد ووصفها من ناحية تطور أرضها و بحرهاومناخها وكذلك الحيوانات والنبتات التي كانت تعيش فيها.

والمعروف أن الانسان الاول كان يختار العيش في منطقة فيها نبات غير مكثف حتى لا يكون حاجزا لتحركاتهأي منطقة عشبية وفي نفس الوقت منطقة مستنقعات و بحيرات حتى يحتمي فيها من الحيوانات المفترسة هذا من ناحية ومن ناحية أخرى يجد فيها الماء العذب والمناخ المعتدل.

ومنطقة المهدية منذ قديم الزمان الى اليوم هي منطقة يوجد فيها نبات غير مكثف ومستنقعات عديدة. ومناخها معتدل كما بيناه آنفا فهي ملائمة جدا لتعميرها من طرف الأنسان الاول خلال العصور الحجرية كلها.

و ينبغي علينا أن ندرس هاته المنطقة مع حركية اتساعها تارة في عصور الجليد وضيقها أخرى في عصور ارتفاع الحرارة مع تحول ارتفاع مستوى البحر (١٠٠ مترا تقريبا) وحركية أخرى اثر ارتفاع الصفيحة الافريقية وان كانت أقل تأثير اذ أنها تقدر ببعض الامتار فقط طيلة العصر الرابع أي طيلة أربع مليون سنة تقريبا.

وأهم الموجات البشرية التي عمرت الارض هي أربعة:

١ ــ من ٤٠٠٠ ــ ١٠٠٠ الف سنة: عاش هاته الفترة بشر يسمى Australopithêque أي
بشر الجنوب ونهايته بشر يمتاز بمهارته اليدوية اذ أنه أول من صنع الادوات الحجرية فنسميه مستقبلا **البشر الماهر**. ونتج ذلك عن قدرة تحرك الاصبع الاول أي الابهام حتى يضعه أمام الاربعة الاصابع الاخرى كما نعمل اليوم و بهذه الصفة أصبح البشر يمسك الاشياء و يصنع منها أشياء أخرى و يقول بعضهم ان مركز ذكائه يوجد في اليد لانها هي التي تساعد العقل في انجاز ما يتصوره وفي اكتشاف ما خفى عنه.

٢ ــ من ١٠٠٠ ــ ١٥٠ ألف سنة: عاش في هاته الفترة انسان يسمى Pitécanthrope أي
البشر القرد ونهايته هذا بشر يمتاز بأنه يقف على قدميه بصفة كاملة وهذا الامر يحرر له يديه عند تنقله فيستطيع آنذاك حمل أدواته معه عند تنقله أو حمل أي شيء يعتقد أنه ثمين فأصبح هذا الانسان واقفا تماما فتحرير اليدين أكمل تكوينه العقلي وفي عهده اكتشفت النار وهو أهم حدث وقع للانسان في ذلك الوقت ونسمي هذا البشر **البشر الواقف**.

٣ ــ من ١٥٠ ــ ٤٠ ألف سنة: عاش في هاته الفترة انسان يسمى Néanderthalien لان
أول من اكتشف كان في مدينة Néanderthal بألمانيا ونهاية
هذا البشر يمتاز بأنه أصبح له شعور وكأنه يستطيع أن يعتقد اذ أنه يدفن موتاه فبدأ بفضل ذكائه يرتبط مع العالم الخارجي ونسمي هذا البشر بشر الشعور

حصى مهيأة بين 2،5 و 4 مليون سنة

حصى مهيأة تاريخها مليون سنة

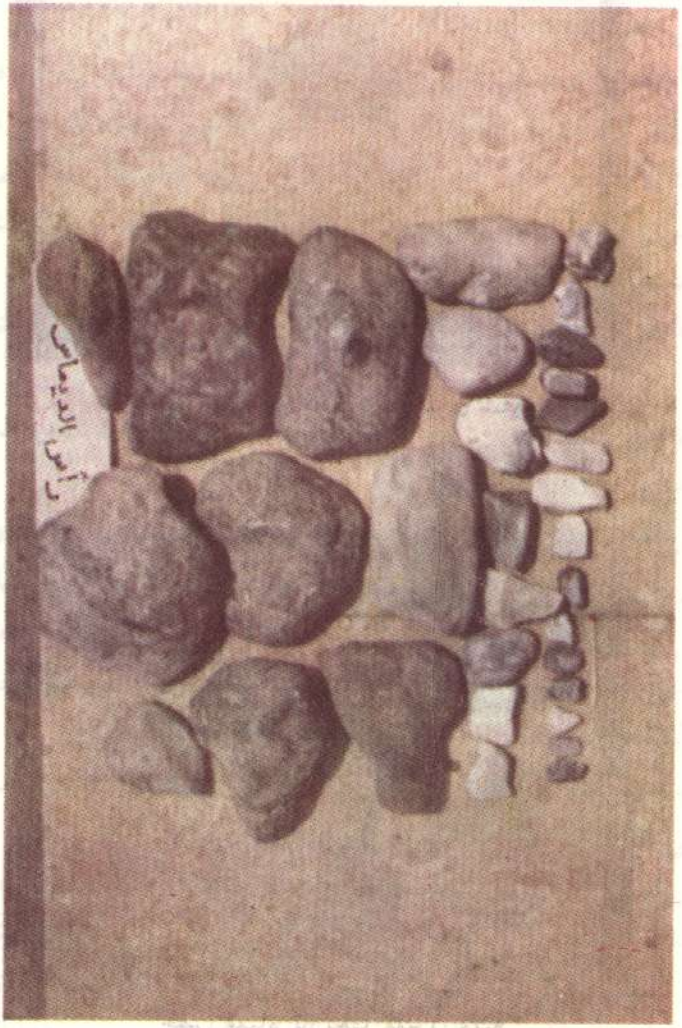

مجموعة أدوات من رأس الديماس

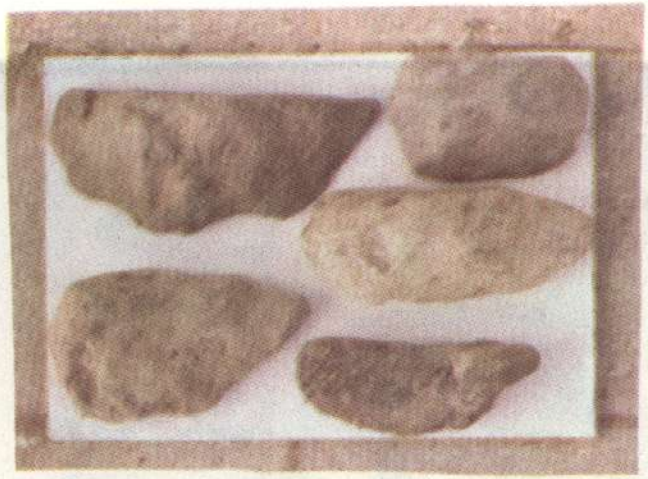

حصى منحوتة من الجهتين

حصى تربط بعصي للصيد والدفاع

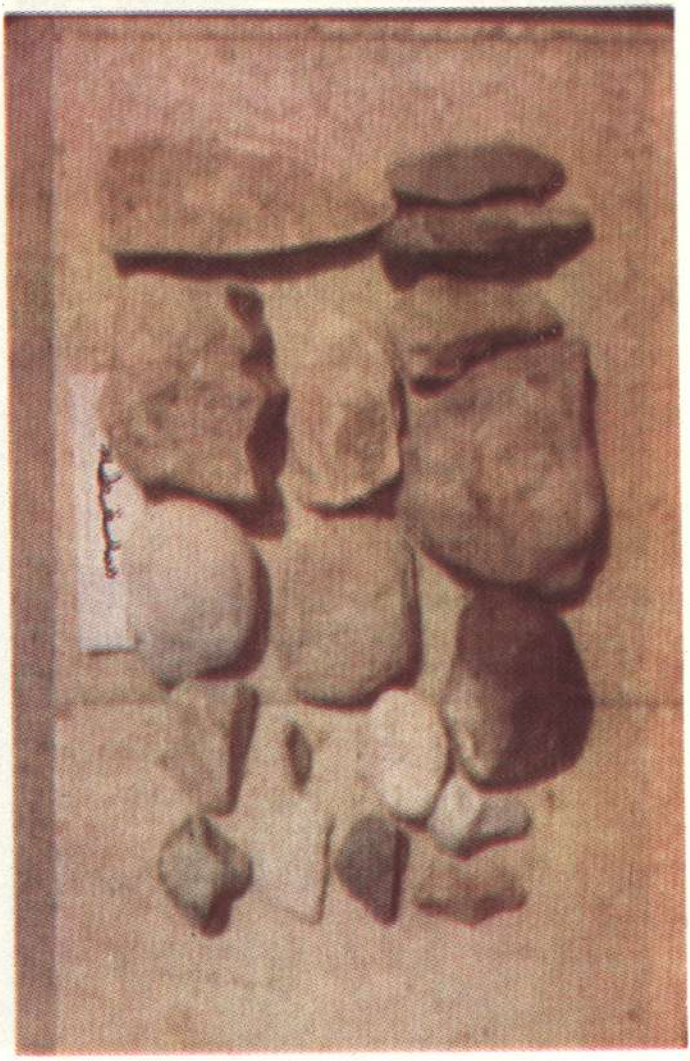

مجموعة أدوات من سلفطة

بقايا حيوانات كأسنان وأظافر تستعمل كأدوات

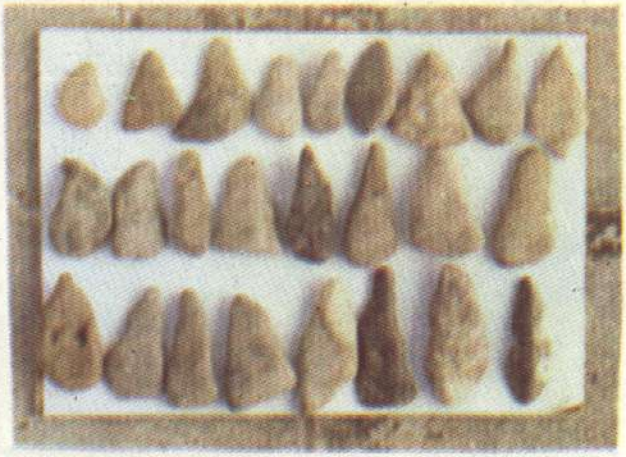

حجارة ممضاة مختلفة

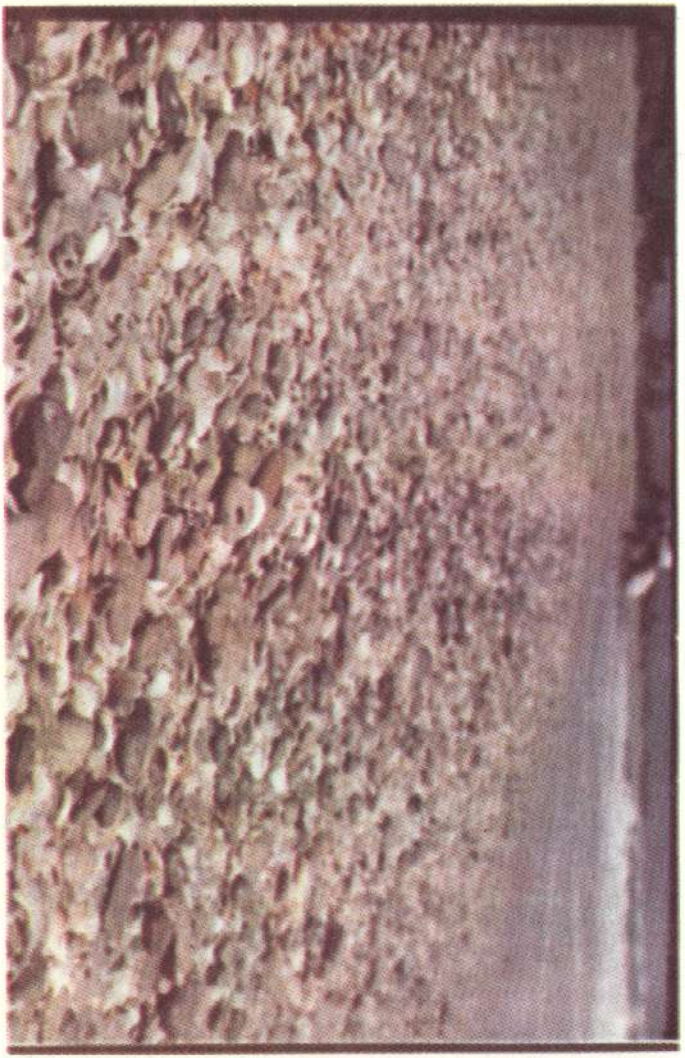

اخراج الحجر من البحر بفضل الشبكة المائية

عظام منحوتة.

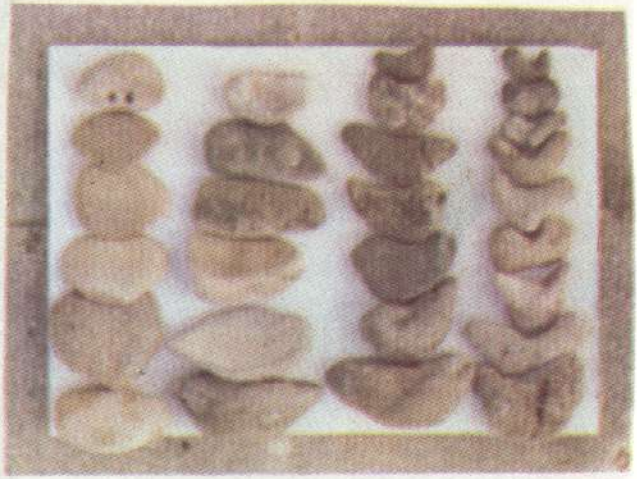

مخراط بكل أنواعه

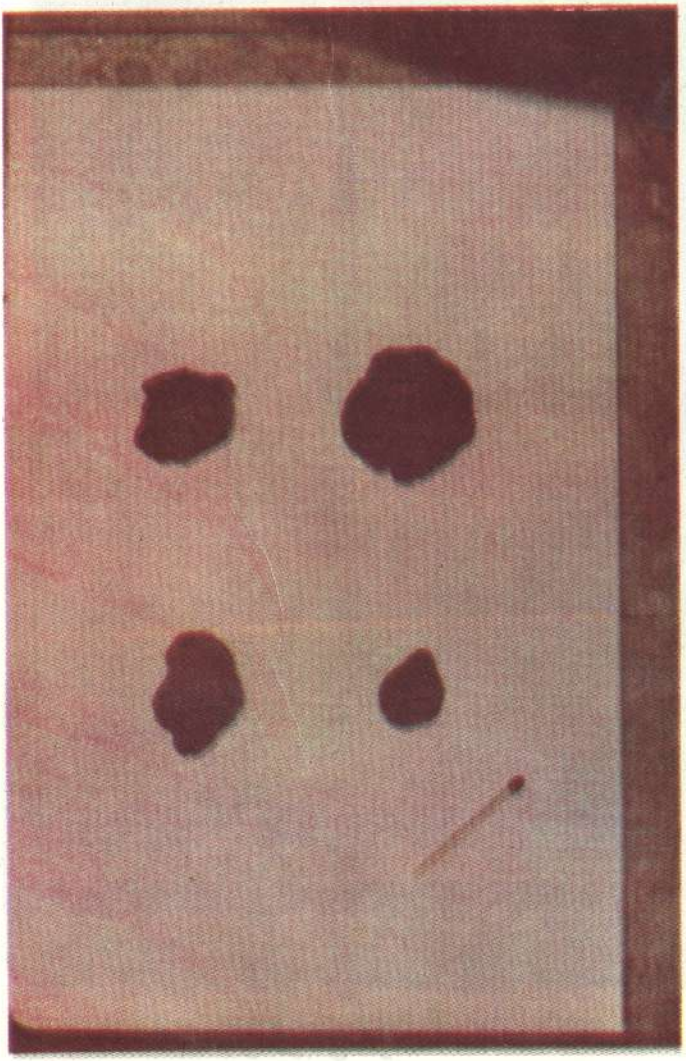

انسان العصور الحجرية لا يعرف الحديد فيستعمل النيازك التى تتكون من اكسيد الحديد

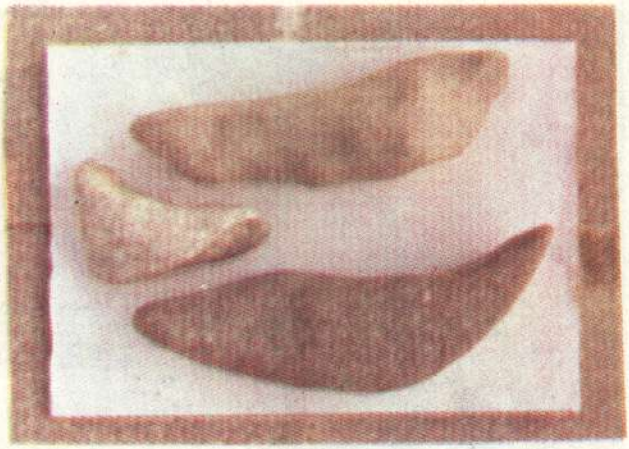

أدوات فلاحية : محراثان ومحفر صغير

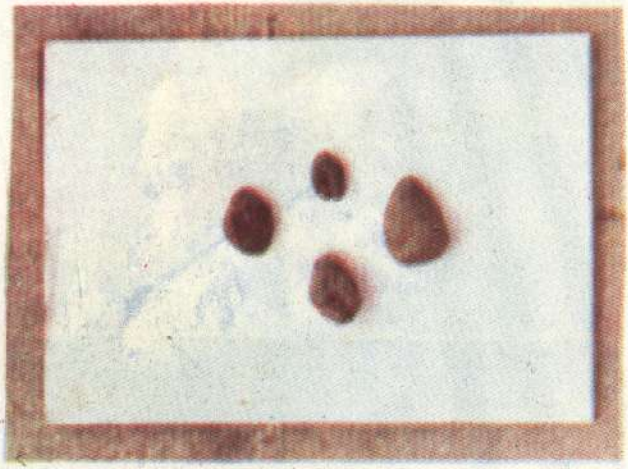

حجارة فى طور الثقب ربما بالنار وبآلة صلبة جدا

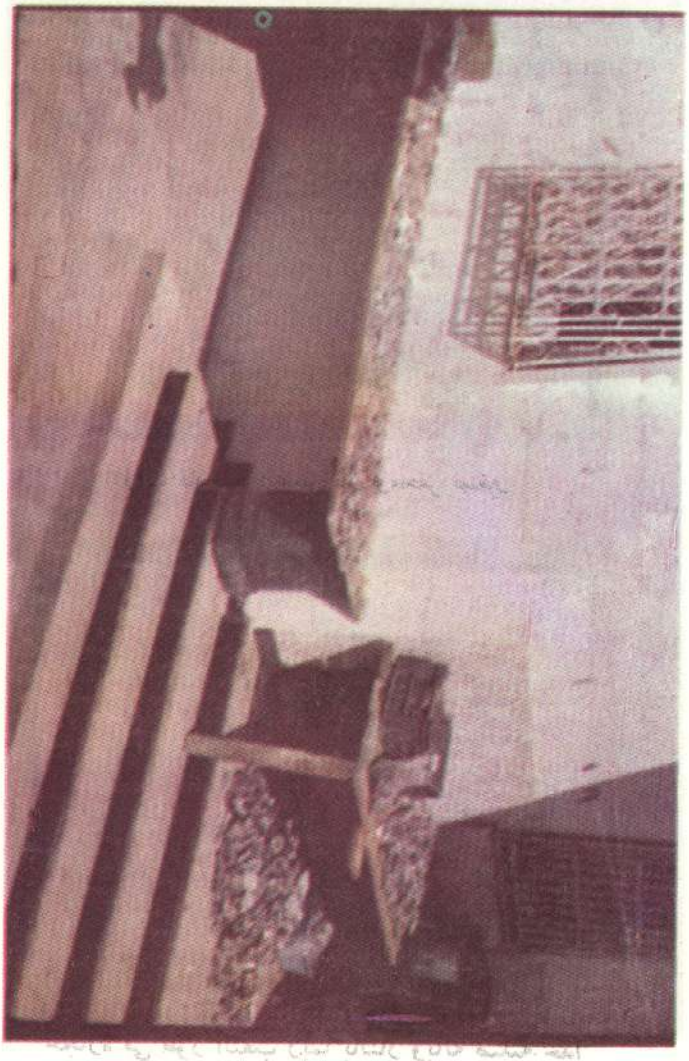

العمل اليومى فى البيت

مقدمة أسهم من حجارة الصوان.

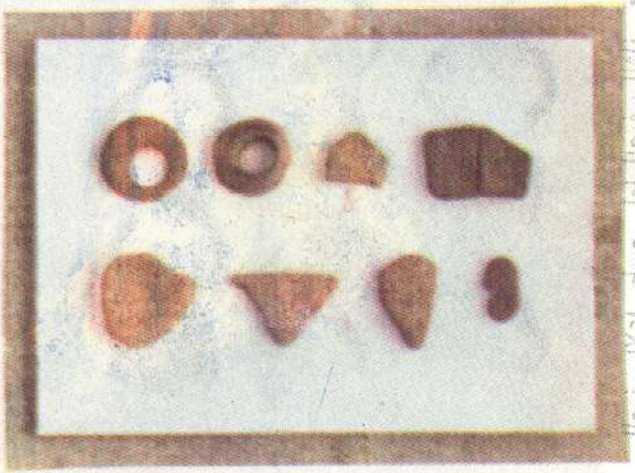

خزف قديم جدا : 6000 سنة

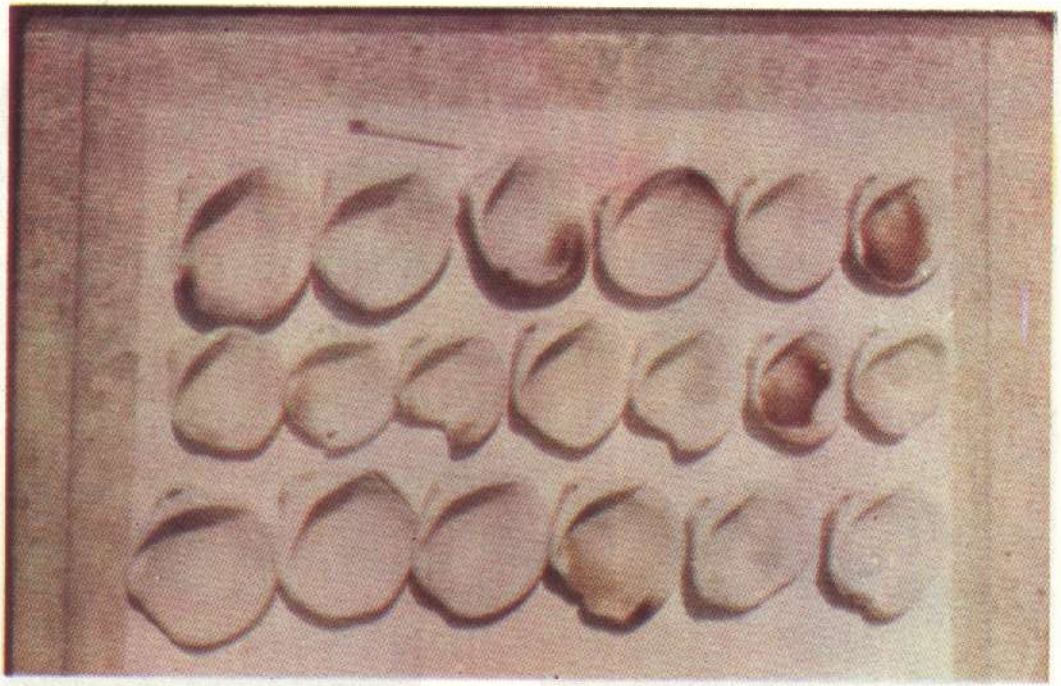

الصف الاعلى طبيعى أما الصف الثانى والثالث فهى مكسرة دائما بنفس الشكل
لتستعمل كأداة ربما لتنظيف السمك

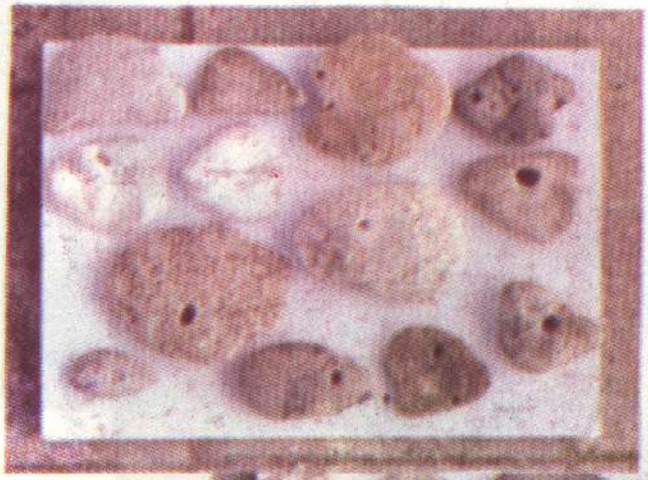

صور سمك.

صور حيوانات مختلفة : جمال وكلب و ...

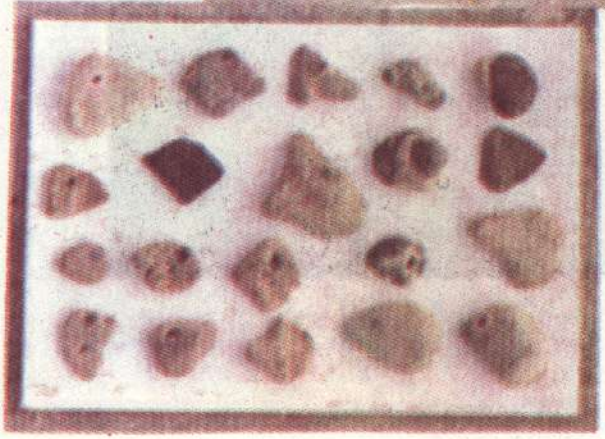

صور طيور

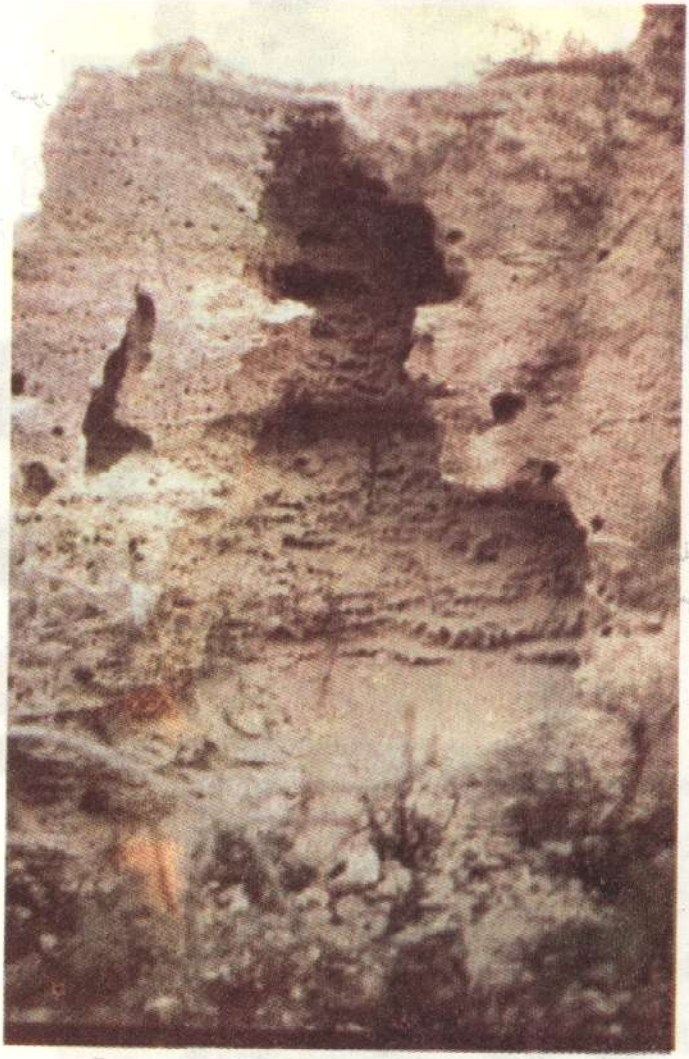

كهف حفرته العوامل الطبيعية

صور رؤوس بشر ومن
خلف صور أسماك

صور رؤوس بشر من جانب
ومن خلف صور أسماك

حجارة تحمل اشارات
منها الجهاز التناسلي الذكر
(في الوسط) وأنثى
(بجانبه الايمن)

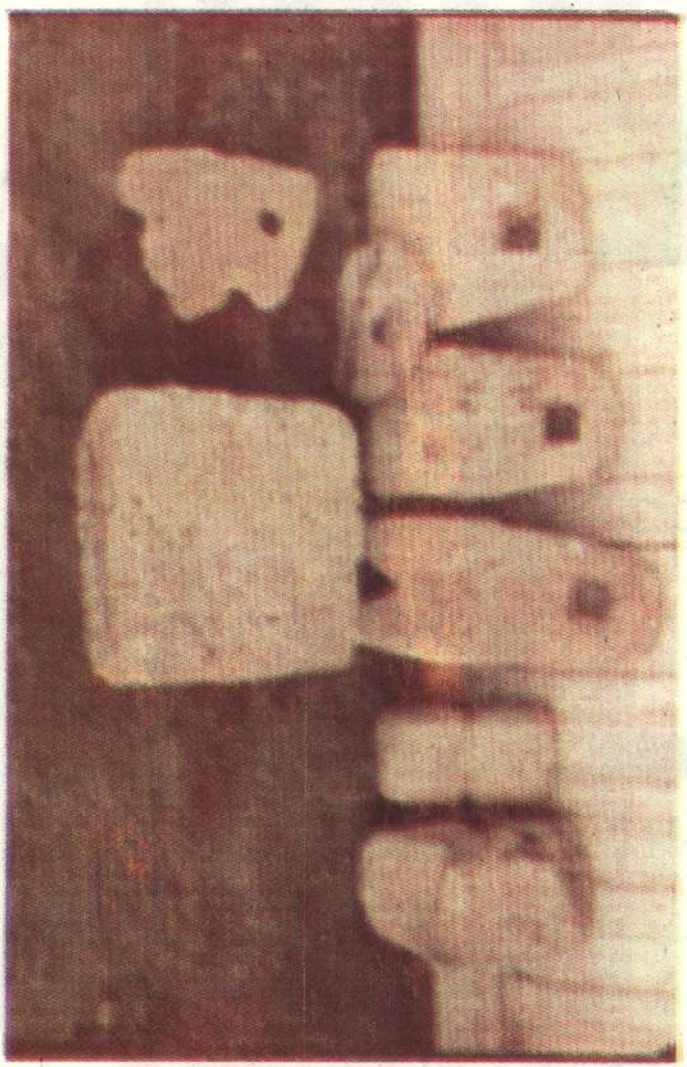

مرساة حجرية للسفن

٤ ــ من ٤٠ ألف سنة الى اليوم: عاش في هاته الفترة انسان يسمى Homo Sapiens (أو اذا سمينا الثالث Homo Sapiens فنسمي هذا الرابع (Homo Sapiens Sapiens

أي الانسان العارف أو العالم أو الحكيم الذي يفكر. لكن أساس التفكير هو تجريد الاشياء والحوادث وتصورها في العقل و وضع رموز لها كالرسم على جدران الكهوف أو نحت الحجر أو الكلام أو الكتابة.

فعملية التجريد ثم عملية الترميز هي بالضبط عملية اعطاء الاسماء بالمعنى العام لكلمة اسم ثم عندما أعطى الانسان الاسماء للاشياء أي رمز لها بالصورة والكلام والكتابة أصبح يفكر. ونسمي هذا الانسان الذي نحن منه نعمر الارض **بشر الاسماء** وقال الله تعالى «**وعلم آدم الاسماء كلها**» وهكذا يكون أول انسان في هاته الموجة الرابعة هو آدم عليه الصلاة والسلام.

والمعلوم أن هاته الموجات البشرية الاربعة منفصلة بعضها عن بعض لا يوجد ربط عضوي بينها كأن كل موجة بشرية ظهرت دون أن تكون نسلا للتي سبقتها.

واليوم على سطح الارض الانسان واحد لا فرق بين أبيض وأسود... والمعلوم أيضا أنه لا شيء يربط الانسان بالقرد أو بأي حيوان آخر طيلة وجود هاته الموجات فلنذكر لذلك:

١ ــ في خليقته المادية، مُوَرِّ ثَاتُهُ تختلف عن مور ثات القرد فالانسان له ٢٣ مثنى من الصبغيات والقرد له ٢٤ مثنى وطول مور ثات خلية واحدة من الانسان يبلغ ١،٢٠ مترا حينما مور ثات خلية قرد لا تفوت ٠،٧٠ مترا.

٢ ــ وفي خلقته المعنوية فان غريزة القرد هي الغريزة الحيوانية أي القرد حينما ينشأ يكتسب كل مؤهلاته للحياة فهو يمشي و يتحرك و يعمل كل ما اكتسبته غريزته في اللحظات الاولى من حياته ثم لا يستطيع أن يأخذ شيئا من المحيط الخارجي. أما الانسان فينشأ لا يكسب شيئا لا يرى ولا يمشي ولا يستطيع أن يعمل شيئا مدة طويلة من حياته تفوت أحيانا السنتين ثم يرشد و يبلغ أشده في الثاني عشر من عمره فيبدأ في الاخذ من المحيط والتعلم منه والتأثير فيه وذلك الى مماته.*

---

* المراجع:

1) La Bible, le Coran et la Science
Dr. Maurice Bucaille
Editions Seghers, Paris 1980
2) L'Homme, d'où vient-il ?
Dr. Maurice Bucaille
Editions Seghers, Paris 1981
3) L'Homme en Accusation
P - P. Grassé.
Albin Michel, Paris 1980
4) L'Evolution du Vivant
P - P. Grassé
Albin Michel, Paris 1973
5) Biologie Animale.
M. Aron et P - P. Grassé
Masson, Paris 1935
6) Biologie Moléculaire, Mutagène et évolutive
P - P. Grassé
Masson, Paris, 1978
7) Comment se pose aujourd'hui le problème de l'existence de Dieu.
Cl. Tresmontant
Editions du Seuil, Paris 1971
8) Problèmes du Christianisme.
Cl. Tresmontant
Editions du Seuil, Paris 1980
٩) لله العلم للمؤلف

وهذا يدل على أن الانسان لم يكن أبدا نتيجة تطور القرد أو أي شيء آخر في الارض ونذكر هنا بُرْهَانَيْنِ بديهيين هما:

١ ــ ان القانون العام للتطور في العلم الحديث ينص **على أن نظاما ما لا يتطور الا** من نظام منظم الى نظام أقل تنظيم أي الى الفوضى وآخر الامر الى الهلاك. وهذا ما نلاحظه في كل يوم وفي كل ساعة وكل لحظة حولنا.*

٢ ــ اذا كان الانسان نتيجة تطور القرد يتحتم علينا أن نقول أيضا أن القردة نتيجة تطور حيوان آخر وهذا الحيوان نتيجة تطور حيوان آخر أضعف منه الخ... الى أن نصل الى أبسط حيوان في الكون وهو المتمورة (Amibe) التي تتركب من خلية واحدة فيجب علينا أن نعتقد أن في هذا الحيوان البسيط مورّثات تحمل كل المعلومات التي بفضلها ينبغي عليها أن تتطور وتصبح بعد مئات الملايين من السنين انسانا كالذي نراه اليوم وهذا خطأ لان المتمورة لا تحوي في مورثاتها لا ما يوجد في مورثات الانسان ولا كيفية التطور للوصول الى مورثات الانسان وقد قلنا أن مورثات الانسان في خلية واحدة طولها ١،٢٠ مترا ولكن طول مورثات المتمورة لا يبلغ جزءا من الالف من المليمتر.

فكيف اذن خلقت هذه الحيوانات وهذا الانسان ؟ خلقت مثلما خلقت السموات والارض باذن الله وارادته: الله اذا أراد شيئا فانما يقول له كن فيكون .

---

* ان نظرية دارو ين التي يراد بها تفسير النشوء والارتقاء خطأ أصبحت محفوظة في رفوف متاحف تاريخ العلم ولا تدرس في مدارس الامم المتقدمة تقنيا.

ب ـ العصور الحجرية في المهدية

١ــ البشر الماهر: عاش هذا البشر في فترة دامت ثلاثة ملايين سنة تقريبا ابتدأت منذ ٤ ملايين سنة وانتهت منذ مليون سنة.

المنطقة: ان منطقة المهدية في ذلك الوقت كانت منبسطة لا جبال فيها ولا رمال أرضها صلصالية كلها مستنقعات ومستوى الارض فيها منخفض ٤ أمتارا بالنسبة للمستوى الحالي: متران للارتفاع القاري الذي وقع منذ ذلك الوقت ومتران رواسب تكدست على مستوى سطح الارض المعروف في ذلك الوقت.

وللبحر فيها مد وجزر اثر الجليد العام وقع على الاقل ثلاث مرات وهي: (الارقام تدل على ملايين السنين).

٠،٧٥ ــ ٢: جليد قُنز (Gunz)

٢ ــ ٢،٥: جليد دناو (Donau)

٢،٥ ــ ٤: جليد بيبر (Biber)

كل مرة يتحول مستوى سطح البحر الى عمق مائة متر تقريبا وخلالها تتغير مساحة الارض اليابسة حول منطقة المهدية كما ذكرناها.

وكانت الارض كثيرة العشب فيها حيوانات عديدة وكان يعيش البشر الماهر في الارض العشبية لا في الغابات وأحيانا يسكن فوق الاشجار.

فهو قصير القامة طوله ١،٢٠ مترا تقريبا يعلو وجهه حاجب عظمي قوي ليس له ذقن وله اسنان شديدة. لا يبلغ حجم مخة الا ٥٠٠ سنتيمتر مكعب.

فهو لا يتكلم ولكن لا بد أنه يخرج أصواتا كالقردة مثلا. وهو يتنقل كثيرا سعيا وراء قوته لا يعرف ماهو المسكن.

فهو لا يعرف النار فيأكل مايجد وخاصة الحلزون لسهولة تناوله و يأكل لحم البشر وكذلك الموتى ويموت صغيرا في سن لا تبلغ الثلاثين سنة لقساوة العيش فلا يوجد الا في الاماكن ذات المناخ الطيب والقوت الوافر وهذا ماذكرناه بالنسبة لمنطقة المهدية.

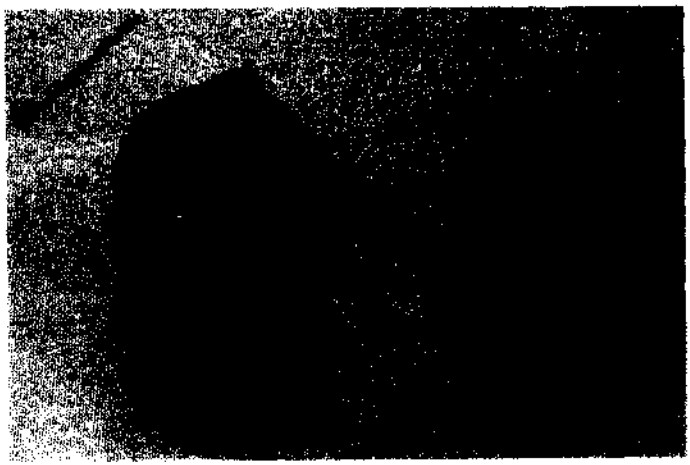

حصى مهيأة للبشر الماهر (٢،٥ الى ٤ مليون سنة)

فلذلك وجدت أدوات هذا البشر أرختها حسب ثلاث أساليب مختلفة:

أولا: بالطبقة الارضية اذ أنها من نوع بليوسان البحري أي عمره يتراوح بين ٢،٥ ــ ٧ ملايين سنة.

ثانيا: اذا نظرنا الى جداول الادوات نجد أن هذا الشكل من الادوات المسمى «شوبر» أو الحصى المهيأة صنعه الانسان في فترة تتراوح بين ١ــ ٦ مليون سنة.

ثالثا: اذا قارنا هذه الحصى المهيأة مع حصى أخرى وجدتها في أماكن أخرى لاحظت أن هذه الحصى صغيرة نسبيا أي أن البشر الذي صنعها له بنية صغيرة وهو بالضبط هذا البشر الماهر الذي عاش بين ١ ــ ٤ مليون سنة.

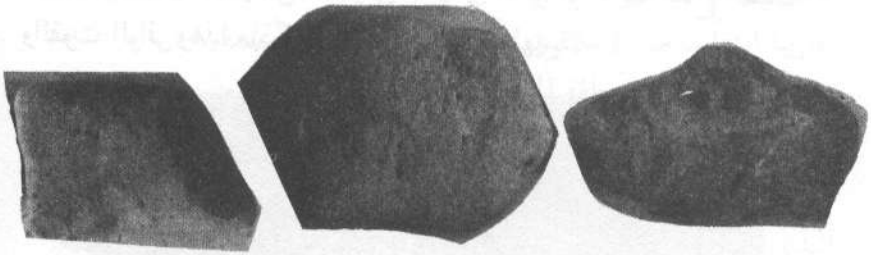

حصى مهيأة أخرى.

فنستنتج من ذلك: أولا أن تاريخ الحصى الموجودة تشترك بين الفترات الثلاثة أي انها صنعت في فترة تتراوح بين ٢،٥ ــ ٤ مليون سنة.

ثانيا: ان المنطقة كانت مسكونة من طرف هذا البشر الماهر.

ووجدت بجانب هاتين الحجرتين حلزونًا مكسرا في الجانب على نسق تكسير الحلزون اليوم لامتصاصه وأكله وهو فارغ من حيوانه أي أن هذا البشر أكله فعلا ووجدت تحته مباشرة كمية كبيرة من حبات سوداء تخمرت وذابت في الصلصال يمكن ان تكون حبات زيتون.

ووجدت في بقاع اخرى حصى مهيأة في هذا الحجم تدل على ان البشر الذي كان يستعملها كان صغيرا وهي من النوع الذي سبق وصفه.

٢ ــ البشر الواقف: عاش هذا البشر في فترة دامت من مليون سنة الى ١٥٠ ألف سنة.

ان منطقة المهدية أصبحت كلسية يختلط احيانا في ترابها الصلصال بالكلس الذي بينا تكوينه من الغازات الفحمية التي تخرجها البراكين وبدأت تتكون في المنطقة كهوف حجرية.

وفي البحر وقع مد وجزر طيلة ثلاث فترات الجليد «ڤنز» و «مندل» و «ريس» حسب الجدول الاتي: (الارقام تدل على آلاف السنين).

١٥٠ ــ ٣٠٠: جليد ريس (Riss)

٣٥٠ ــ ٥٥٠: جليد مندل (Mindel)

٧٥٠ ــ ٢٠٠٠: جليد ڤنز (Gunz)

و يتغير سطح البحر في كل جليد كما ذكرنا ولكن في هاته الحالة تتكون شيئا فشيئا الاكداس الكلسية التي انتجت تلاّ كبيرا وهو جبل المهدية من البقالطة الى رجيش. وهاته الاكداس الكلسية سمحت للبشر الواقف ان يكوّن كهوفا واكواخا يسكن فيها.

وقد وجدت كوخا محرقا ربما احرقته صاعقة كما يقع ذلك الى اليوم او احرقه الانسان نفسه اذ ان هذا البشر يعرف استعمال النار الذي اكتشف منذ نصف مليون سنة وموقع هذا الكوخ هو في الطبقة التيرانية (Thyrénéenne) الذي كشفها البحر عند هيجانه المذكور.

وطول قامة هذا البشر الواقف ١،٨٠ مترا وحجم مخه يتراوح بين ٧٠٠ ــ ١٢٠٠ صنتمتر مكعب ولكنه يقف وقفة كاملة حررت يديه وعند تنقلاته لا بد انه يمسك في يد حصى مهيأة وفي الاخرى عصى.

وادواته كثيرة انها مثل ادوات البشر الماهر ولكن اكبر لكبر قامته

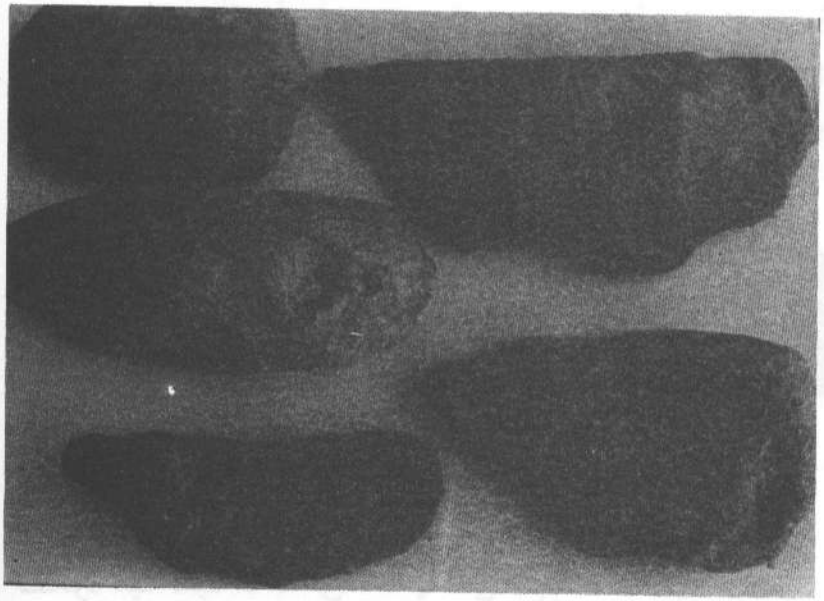

حصى ممضاة من الجهتين حوالي نصف مليون سنة.

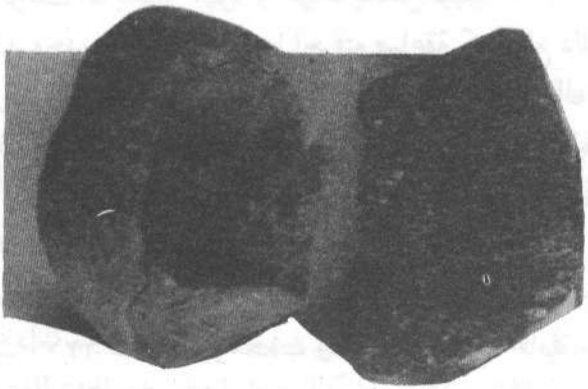

حصى مهيأة حوالي مليون سنة.

وكفيه ومتطورة اكثر فالحصى مثلا اصبحت منحوتة من الجهتين ثم مذببة كالخنجر.

هذا البشر الواقف يعرف النار ولذلك اصبح ياكل اللحم مشويا و يسهر الليل في المسكن المضيء والنار تجمع البشر بعضهم مع بعض فأصبح يجتمع ليلا وهذا الذي هيأ المساكن الجماعية رغما من انه مازال يتنقل كثيرا سعيا وراء قوته.

وهو لا يتكلم لانه لم يبق اي اثر ثقافي كصور حجرية مثلا وربما مازال ياكل لحم اخيه.

٣ بشر الشعور: عاش هذا البشر في فترة دامت من ١٥٠ الى ٤٠ ألف سنة.

وقد مرت الفترة الاخيرة لتكوين الطبقة الارضية الاخيرة وهو التيرينيان (Thyrénéenne) وقد انتهى تكوين جبل المهدية من البقالطة الى سلقطا وأصبحت الارض اقل صلصال ونبتت فيها اشجار عديدة منها الزيتون والثمار والغلال والنباتات التي نعرفها اليوم والبحر مملوء سمكا رغما من أنه وقع فيه مد وجزر عدة مرات لاجل الجليد.

١١.٠٠٠ ـ ٧٥.٠٠٠: جليد وورم (Wurm)

وكان هذا البشر يعيش في كهوف جبل المهدية وفي الاكواخ ولكنه بدا يبني اذ انه يعرف حفر الارض... لانه كان يدفن موتاه فاذا هيأ لموتاه قبرا اي بيتا واعطاه فيها اثمن ما يكسب في حياته فهو لا بد انه بنى البيوت أيضا بالحجر والصلصال المختلط بالكلس والمسمى في

حجارة ممضاة تربط في طرف خشبة.

منطقة المهدية (تفزة) وتوجد آثار عديدة من جدران مبنية بهذا الشكل والبعض منها على رشم الماء أي بني عندما وقع جزر البحر.

ولهذا البشر قامة متوسطة ولكن حجم مخه يتراوح بين ١٣٠٠ ــ ١٦٠٠ صنتمترا مكعبا أي حجم كبير بالنسبة للانسان الاول فلذلك ربما بدأ هذا البشر يتكلم.

وهو يتنقل أيضا سعيا وراء القوت وادواته تدل على انه يستطيع خرط الجلد لاستعماله كغطاء له أو لاكواخه.

٤ **بشر الاسماء:** عاش هذا البشر من ٤٠.٠٠٠ سنة الى اليوم ونحن اليوم من سلالته.

وأصبحت منطقة المهدية مثل ما نعرفها اليوم مع جليد وقع مرات متكررة آخرها انتهى منذ ١١.٠٠٠ سنة قد درسناها في الفصول السابقة.

وهذا البشر معتدل القامة له مخ معدل حجمه ١٣٥٠صم٣ ولكنه يصل الى ١٧٠٠ صم٣ أحيانا وهيأته هي هيأتنا اليوم.

يسكن في الكهوف والاكواخ والمباني وفي عهده اكتشفت منذ ٨٠٠٠ سنة الفلاحة التي اثبتته على الارض فعمرها وأنشأ المدن والعمران.

فهو الذي اكتشف الخزف منذ ٨.٠٠٠ سنة ومنها أصبح يطبخ الاكل على النار لانه كان قبل ذلك يضع الماء في أواني من جلد الحيوان و يسخنه بوضعه فيه أحجارا مسخنة في النار.

وقد استعمل العظام والعاج لصنع آلات له.

ولكن أهم حدث وقع في عهده هي الثقافة اذ أنه منذ ما يقرب من ٢٠.٠٠٠ سنة يثقب الحجارة لكي تظهر مظهر وجه بشر أو حيوان كالكلب والجمل والطيور والسمك.

فالحصى تمثل عادة من جانب وجه بشر ومن الجهة الاخرى سمكة وفي أول الامر وجد حجارة مثقوبة طبيعيا فكسرها ليصنع صورة منها ومن بعد ذلك تعلم كيف يثقب الحجارة و يغلفها بدهن أسود صلب جدّا ليمثل به مثلا الشعر...

وتمثيل الاشياء بالنقط أو الثقب كما يتبين من الصور يدل على أن هذا التصوير هو بدائي جدّا فاليوم نصوّر الاشياء بخطوط التي تنتج عن تحرك نقطة مثل خط القلم الذي ينتج عن تحرك نقطة القلم أو المسطح

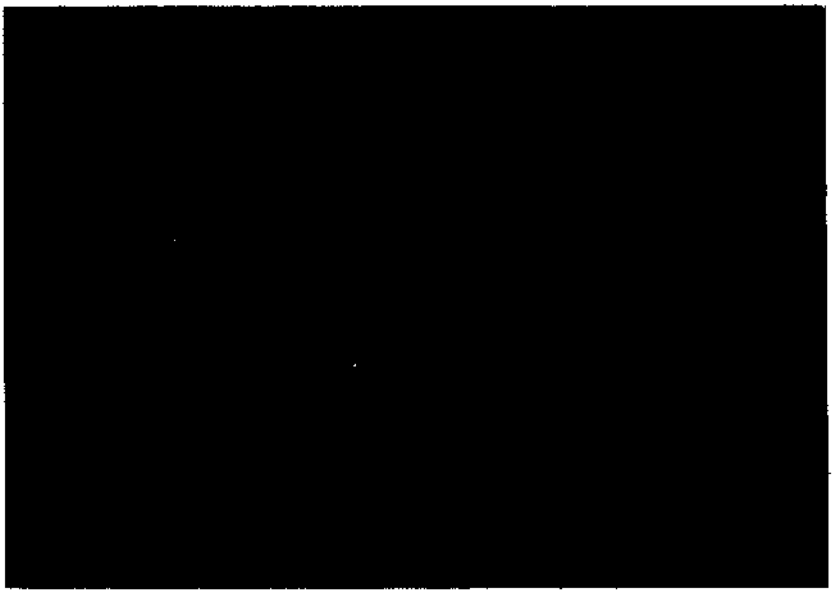

رأس أسهم من حجر الصوان.

الذي ينتج عن تحرك الخط عند نحت الحجارة بشفرة فهو بدأ يضع النقطة ولكن لا يستطيع أن يحركها ليصور خطوطا.

فالنقطة هي التي تصور لنا كل شيء فبنقطة القلم نكتب ونصور وبنقطة الاذاعة المرئية نصور صورا مساحية الخ... ولكن لتكوين الصورة يجب على الانسان أن يكشف شيئين: أولا النقطة وثانيا كيفية تحريك النقطة.

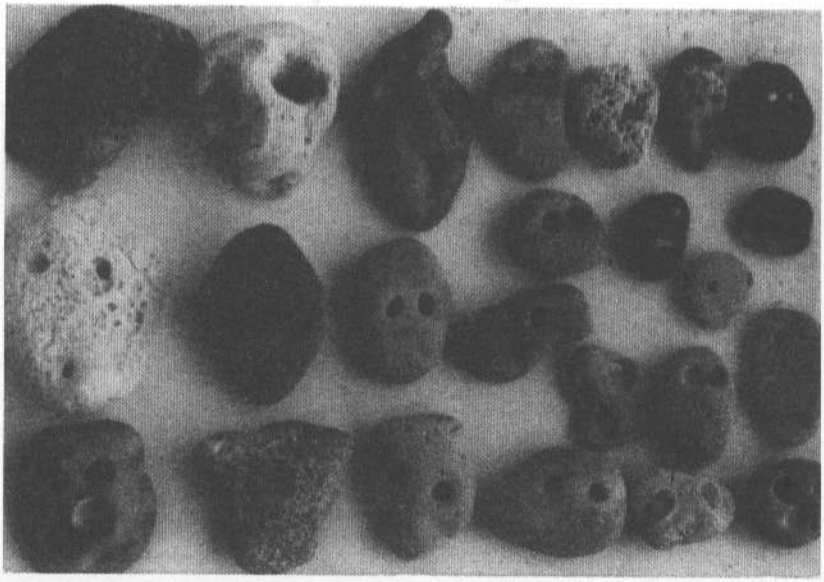

رؤوس منحوتة أو مدهونة بدهن أسود صلب وهي تمثل سمكة من خلف لعلها التماثيل الاولى التي صورها الانسان

فهذا الانسان البدائي في المهدية اكتشفت النقطة ولكن لم يستطع تحريكها للتصوير بالخطوط وهذا هوبداية التصوير ووضع الرموز وهذا العهد يرجع الى أكثر من عشرين ألف سنة وهذا يتلائم مع تأريخ المكان بالجليد لاني وجدت هذه الحصى في البحر حيث لم يكن بحر قبل ولكن البحر رجع منذ ١١.٠٠٠ سنة يعني أن المكان كان يابسا قبل ١١.٠٠٠ سنة وكان البشر يعيش فيه.

وهو يستعمل لذلك الحصى والعظام والحلزون وكل ما يجده.

والحصى الصلبة تكون عادة اسنان حيوان ربما ضخم جدا أو أضافره أو قشرة أو قطعة خشب أو مجموعة نباتية أو حيوانية تغطى في الصلصال فتحفظ من الهواءوتتسرب فيها ذرات السليسيوم الذي يتكون منه الرمل

وتعوض هذه الذرات ذرات الفحم التي تكون هذا الجسم النباتي أو الحيواني لان الذرتين لهما كل أربعة تكافؤ عنصري فيتحول الجسم من عضوي الى حجري و يتحجر الجسم طيلة عشرات الملايين من السنين و يصبح أثقل نسبيا مما كان عليه وهذا ما نلاحظه بمجرد لمس هذه الاجسام فكل الحصى الموجودة على شاطىء المهدية من هذا النوع بعضها استعملها الانسان الاول و بعضها لم يستعملها.

ولقد وجدت بعض الحصى منقوشة عليها اشارات لم أفهمها ووجت حصاتين منقوشة عليهما جهاز الاخصاب الذكري والانثوي لان هذا هو مارسم الانسان للمرة الاولى وكأنه يقدسهما لانه تفطن أن نشأته تنتج منهما.

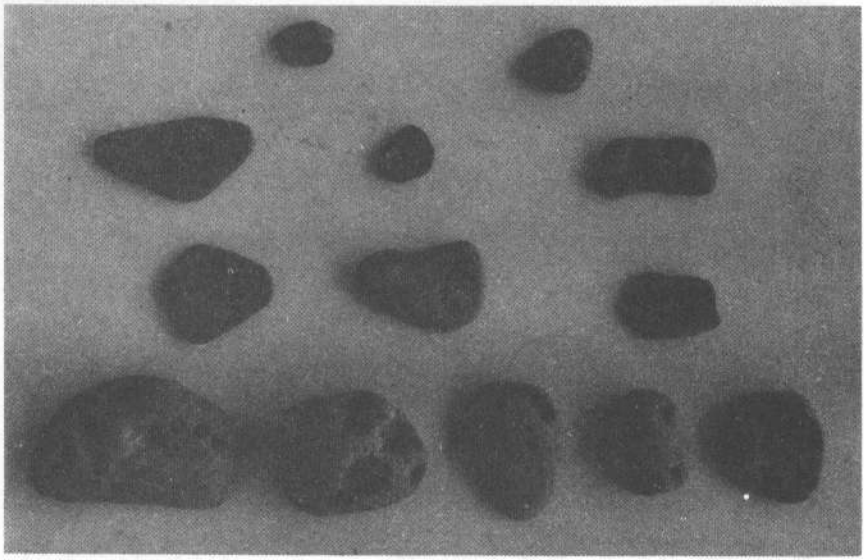

صور مختلفة ليد ورجل... وفي الوسط صورة الجهاز التناسلي للذكر وعلى يمينه جهاز أنثى وهو أول ماصوره الانسان.

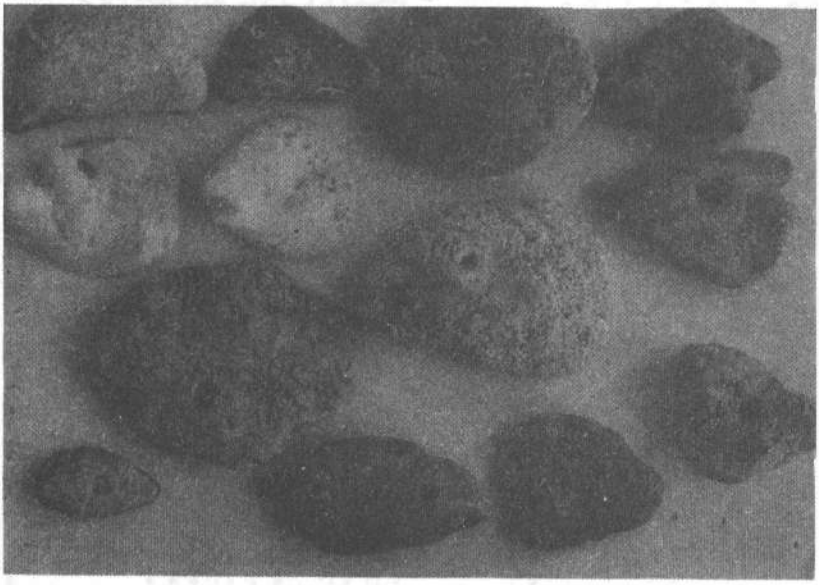

صور أسماك

ولكنه كان يموت في عمر يتراوح بين العشرين والاربعين سنة.

وبما أنه صور الاشياء فهو لاَ بُدّأنه كان يتكلم أيضا لان الاصوات نوع من الصور والرسم على جدران الكهوف ونحت الحجارة والكلام يتقدم الواحد مع الآخر لانها نفس العملية الذهنية هي تجريد الاشياء ثم تصورها بوسيلة ما سواءا كان صوتا أوخطا أو أي شيء آخر وهذا معنى الآية الكريمة و «علّم آدم الاسماء لكلها».

وهو الذي من بعد ذلك تعلم الكتابة والحروف الأبجدية كما سنبينه في الفصل القادم.

★

ج - أهم الحوادث البشرية

اذا استعرضنا أهم ما من الله به على الانسان منذ وجوده على الارض يحصل لنا الجدول الآتي:

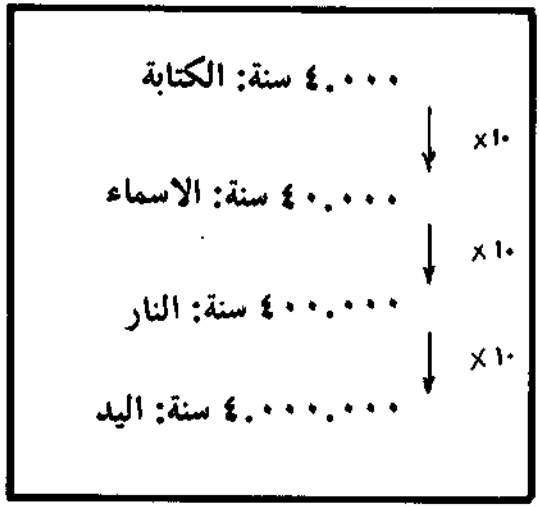

١) اليد: منذ ٤.٠٠٠.٠٠٠ سنة وربما أكثر من ذلك استطاع الانسان أن يحرك أصبعه الاول أي الابهام و يضعه بسهولة على الاصابع الاربعة الاخرى وهي: السبّابة والاصبع الوسطى والبنصر والخنصر خلافا لما تعمل به الحيوانات الاخرى أي أنها تحرك الخمسة أصابع في جهة واحدة.

وبهذه العملية يسهل للانسان القبض على الاشياء فيمارس صناعتها إذ صنع الانسان الحجارة والحصى المكسرة (CHOPPERS) والفرق بين الانسان والقرد هو أن القرد لو قلّد الانسان واستعمل ربما حجارة أو عصى للاستعانة بها في نشاطه الا أن القرد يترك أداته بعدما يقضي بها حاجته وأما الانسان يقرأ الحساب ولا يترك الاداة ويمتلكها و ينقلها معه وهذا الامر جعله يتحرك وفي يده حصى مكسرة وفي الاخرى عصى يستعين بهما وانشغال يديه جعله لا يستعملهما للمشي بل للعمل وأما المشي فهو لا يستعمل الا قدميه.

فشكل يد الانسان شاركت كثيرا في ذكائه اذ أنه صنع بفضل ذلك الاشياء فاكسبته المهارة وكذلك شاركته في تحسين بنيته وهيكله.

وقد قال كثير من المفركرين ان ذكاء الانسان يكمن في يده. أكثر من مخه والحقيقة في نظرنا أن الذكاء الذي من الله به على الانسان هو في خلقته كلها في التفاعل بين يده ومخه من ناحية والتفاعل بينهما وكامل هيكله المادي والمعنوي من ناحية أخرى.

٢ ــ النار: يقول علماء الانسان الاول ان النار اكتشفت منذ ٤٠٠٠٠٠٠ سنة تقريبا أي الانسان عرف كيف يحصل على النار وكيف يحفظها و يعيد اشعالها اذا انطفأت منذ نصف مليون سنة تقريبا.

وقد وجدت بجانب الحصى المكسرة التي أرختها بعمر تتراوح بين ٢،٥ ـ ٤مليون سنة بعض الفحم الذي يدل على أن الانسان كان له اتصال بالنار ولكن كيف كان هذا الاتصال هل هو مجرد رعد حرق شجرة مثل ما يقع الى اليوم في فصلي الخريف والشتاء أم هي شدة حرارة الشمس أحرقت عشبا صدفة أم هو الانسان الذي استعمل نارا

وجدها أم هو الانسان الذي اشعل النار ؟ كل هذه أسئلة لا أستطيع الاجابة عنها ولكن المتأكد هو أن الانسان منذ أن عرف كيف يشعل النار و يستعمل حرارتها وضوءها ولا يخاف منها مثل سائر الحيوانات تغيرت كل حياته فهو يأكل اللحم مشويا فتسهل عملية الهضم عنده ويحتمي بالنار المشتعلة من الحيوانات المفترسة و يشعل النار ليتدفأ ليلا و يضيء فيسهر... ولا تزال النار حرارة وضوءا الى اليوم أهم عنصر لحياة الانسان فهي اليوم الطاقة والنور الكهرطيسي اللذان أصبحا ممتزجين بكيان الانسان في كل شبر من الارض وفي كل لحظة من حياته.

وقد سخر الله النار للانسان ليكون سعيدا اذ أنه لاحظ أنه اتصل بشيء غير مادي قادر على المادة يحرقها فتصبح ظاهريا لا شيء بعدما كانت مجسمة في خشب أو فحم أو غير ذلك فهذه النار التي تذهب الاشياء لها قدرة غير عادية عند الانسان الاول وقد عبدتها أقوام كثيرة.

وهي تظهر لنا كحرارة محرقة وكضوء منير وقد اكتشف قوانينها حسن بن الهيثم منذ ألف سنة فقط وصنع آلات عديدة للنظر ووصف تفاعلات الشعاع مع المادة وأقام قوانينها الاولى. وهي روح حضارة اليوم فهي تعمل في المحركات وفي الاجهزة الالكترونية في الطاقة وفي الاعلام فهي في كل مجال حضارة اليوم.

٣ ــ الاسماء: اني أتصور الانسان الاول يخرج أصواتا مختلفة مثل كثير من الحيوانات ولكن لا يتكلم لان الكلام لم يظهر عنده الا عندما ظهرت عمليات ثقافية أخرى مع الكلام كرسم الصور في الكهوف ونحت الحجارة... وهذه العمليات كلها مركزة على عملية التجرّد أي أن الانسان عندما يرى شيئا أو يعيش حدثا يجرده من محيطه و يضعه صورة في ذهنه يخرجها حيث شاء ومتى شاء على شكل صورة على حائط

أو على شكل صوت أو أي رمز آخر وهذه هي بداية التفكير لانه لا تفكير بدون تجريد الاشياء والرمز لها بصورة ما. تلك هي بداية ثقافة الانسان والمعلوم أنه لم يقع ذلك الا منذ ٤٠.٠٠٠ سنة تقريبا مع الموجة الانسانية الاخيرة أي مع آدم عليه الصلاة والسلام الذي علمه الله الاسماء كلّها أي علمه أن يتصور الاشياء كلها و يرمز لها بالكلام والتصو ير والنحت وغيره...

وهذه الاسماء أكسبها لآدم في مورثاته لان رصيده الوراثي أصبح ابتداءا من آدم مرتين تقريبا مما كان عليه من قبل. وفي المورثات توجد أيضا كتابة أي أسماء أخرى فلما نقول ان آدم هو بشر الاسماء يعني أن الله أكسبه رصيدا عظيما من المورثات ثم ثقافة كبيرة ظهرت بعد أن تعلم شيئا فشيئا الاسماء أي جرّدها في ذهنه من محيطها فتكلم واشترك بفضل الكلام معه في الثقافة من سمعه أي من عاش معه الى أن ظهرت الكتابة ثم نزل القرآن العظيم.

٤ الكتابة: اكتشف العرب الكتابة الابجدية منذ ٤.٠٠٠ سنة تقريبا و بذلك اشتركت كل الانسانية في الثقافة في الزمان والمكان الاحياء والاموات وفي جميع اللغات اذ أن الكتابة تسهل تعلّم لغة ما.

فنزل الكتاب الاعظم القرآن الكريم الذي ابتدأ بكلمة «اقرأ» مبيّنا بذلك أهم حدث وقع في البشرية منذ نزول آدم. فهي الكتابة والكتابة جعلها الله في الانسان نفسه في صلب خلاياه كما وقع بيانه وقد قال الله تعالى:

﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾

وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ - ١٥ -

فأول كلمة في القرآن «اقرأ» تهم قراءة ما يوجد من كتابة في خلايا الانسان كي يتكون ماديا ثم تهم قراءة ماأنزل الله في كتابه العظيم ليتكون ثقافيا وروحيا.

وأكمل الله نعمته على الانسان بالاسلام الذي أعطى كل ما يحتاجه الانسان ماديا ومعنويا كي يعيش عيشا سعيدا دنيا وآخرة.

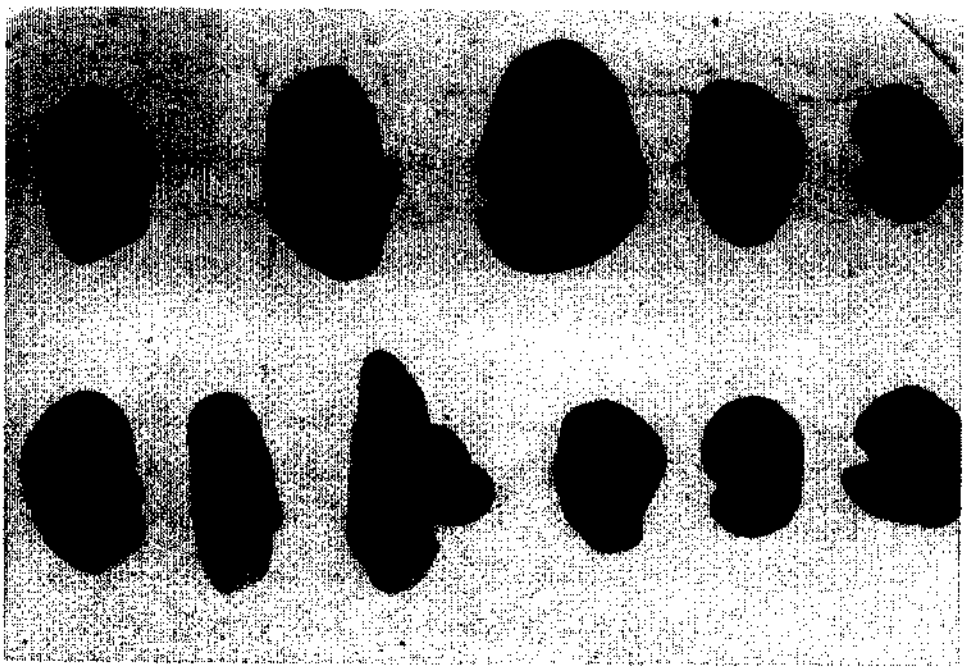

★

د ـ التنقل الآني وعلم الغيب

«اذا تعلقت همة المرء بما وراء العرش لناله». فماذا ينتظر الانسان من كسب آخر بعدما أكمل الله له خلقه ماديا ومعنويا ؟

الانسان مادة وروح فهو مادة في حكم المكان والزمان فهو يحيى ماديا في مكان ما وفي زمن ما ثم يموت وهو روح توجد في كل مكان وكل زمان والكسب الجديد الذي سيتحصل عليه الانسان باذن الله يتعلق أساسا بهاته الصفة ويتركب من أمرين اثنين فالاول يتنقل الانسان فيه من مكان الى مكان آخر في الارض أو خارجها ومن زمان الى زمان آخر ماضي أو مستقبل أسرع من لمح البصر والثاني ينقل الانسان فيه المعلومات التي يريدها من ذهنه الى ذهن آخر أو العكس أسرع من لمح البصر.

لا شك أن هاتين العمليتين من علم الغيب وقد منّ الله بهما على مخلوقات عديدة انسا أو جانا نذكر منهم سليمان عليه الصلاة والسلام الذي قال الله فيه:

﴿٣٧﴾ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ
يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠
ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾
قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ

إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى
لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن
كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ - ٢٧ -

ونذكر أيضا الاسراء والمعراج اللّذَيْن وقعا جسما وروحا في المكان والزمان كلمح البصر والمعلوم أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يأت الا بمعجزة واحدة وهي القرآن الكريم.

ونلاحظ اليوم أن كل نشاط الانسان يسعى الى تحقيق هاتين العمليتين معا أو الواحدة بعد الاخرى فهو ينقل الصوت ثم الصورة في الهاتف والاذاعة المسموعة والمرئية و ينقل كل ما يتصل به صوتيا أو صوريا في الحاسبات وغيرها... و يتنقل الانسان في الارض وخارجها وكأنه يتهيىء الى تنقل بسرعة أكبر و يتدرج شيئا فشيئا الى نقل المادة مثل نقل الصوت والصورة...

وأما نقل المعلومات فكل الاجهزة السمعية والبصرية تعمل لذلك والمعلوم أن الدروس ترمي الى تسهيل نقل المعلومات وتدوم هاته العمليات زمنا يكون أحيانا طويلا وأما نقل المعلومات الى انسان آخر بمجرد النظر اليه فترمي كلها الى تحقيق نقل المعلومات من ذهن انسان الى ذهن انسان آخر حاضر أو غائب في زمن طوله أقل من لمح البصر.

حيث أن العصر الجديد هو عصر النقل الآني مادة وروحا وهذا شيء من علم الغيب فهل يستمر الانسان في اكتشافه علم الغيب بعد احاطته بعلم الشهادة فيصبح قادرا على أن يخاطب مثلا الحيوانات

والنباتات وكل المخلوقات الاخرى... كسليمان عليه الصلاة والسلام؟ هذا أمر هيّن اذا أراد الله أن يكون.

واذا جمّع الكلام الحاضرين ووحّد جهودهم وثقافتهم وجمعت الكتابة الحاضرين والغائبين الذين أبقوا كتاباتهم ووحّدتهم في المكان والزمان فان النقل الآني سيجمع الانسانية كلها ماضيا وحاضرا ومستقبلا وفي كل مكان وهل الساعة تأتي قبل ذلك أم هي الساعة بالذات ؟ ولله العلم.

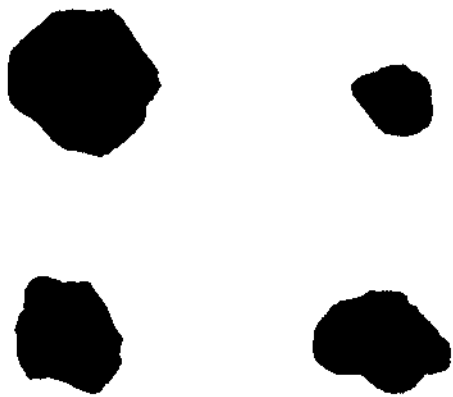

2 ـ علم بالقلم

﴿٣١﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا

١ ـ آدم خليفة مخلوق
٢ ـ السبع المثاني والقرآن العظيم
٣ ـ اللغة العربية
٤ ـ الحروف الاولى عربية

ميز الله آدم عن المخلوقات الاخرى وعلمه الاسماء كلها فتصورها وصورها ونطقها ثم كتبها والحروف الابجدية الاولى عربية

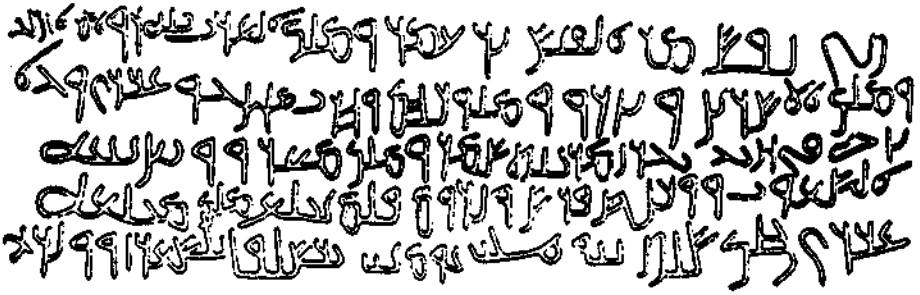

كتابة على قبر امرىء القيس في النمارة بجبل الدروز

١ ـ آدم خليفة مخلوق

قال الله تعالى:

﴿٢٩﴾ وَإِذْ قَالَ
رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا
مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ
لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ
عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ

صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ
ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم
بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ
مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ
فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾
وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ
شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا
ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ
عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن
رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟
مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ
أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ - ٢ -

قال الله تعالى للملائكة أنه جاعل في الارض من يبقى بعد المخلوقات البشرية الاولى و يقوم مقامها ويخلفها فسألته الملائكة وهي

لا تستطيع أن تتنبأ بشيء لان الغيب لله وحده فهي تجاسرت أن تقيس على ما مضى وطلبت من الله لماذا يجعل في الارض مخلوقا جديدا سيفسد في الارض وسيسفك الدماء فيها مثل ما صنعت المخلوقات البشرية السالفة حتى يكون هذا المخلوق الجديد شر خلف لشر سلف. فيجيب الله: **اني اعلم مالا تعلمون.** فآدم عليه الصلاة والسلام خليفة مخلوق في الارض لا خليفة خالق وسبحان الله عما يخطئون لان الله في كل مكان وفي كل زمان ولا خليفة له.

وهذا ما وقع للنصرانية التي انزلقت شيئا فشيئا من اعتبار المسيح الذي خلقه الله بأن نفخ من روحه في مريم العذراء ﴿٩١﴾ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾

مثلما نفخ عيسى

عليه السلام في قطعة طين على شكل طير فأصبحت طيرا حيا باذن الله والله على كل شيء قدير الى أن أصبحت عندهم مريم زوجة الله وعيسى ابن الله وعضوا من الاله الثالوث ومن ذلك أصبح عيسى الاها فهذا الانزلاق التدريجي من كون الانسان مخلوقا الى أن يصبح يعتبر خالقا والاها يعبد هو من أبشع الوثنيات العصرية حيث نلاحظ اليوم حكاما وملوكا ورؤساء يدعون أنهم «خلقوا شعبا أو دولة أو شيئا ما» وهم يموتون وكم من شعوب كفروا بربهم فذهب الله بريحهم واندثروا ولم يبق منهم شيء ولم يعودوا يذكرون. ونلاحظ علماء يدعون أنهم «خلقوا» الانسان في أنبوب مثلا وهم لا يخلقوا شيئا بل يُخْلَقُونَ لأن الأصل اللاّزم للخلق من الله وحده.

وعلم الله تعالى آدم عليه السلام الاسماء كلها حتى يتعلم ثم أمتحن الملائكة بطلبه لهم أن ينبئوه بأسماء لا يستطيعون معرفتها

فاجابوا:

سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم.

فتوجه الله تعالى بعدئذ الى آدم عليه السلام

وطلب منه أن يجيب عن نفس السؤال فأجاب آدم عليه السلام فبعد ذلك طلب الله للملائكة أن تسجد لادم عليه السلام لا لانه خليفة الله في الارض واستغفر الله لان الله لا شريك له لا بالقسمة ولا بالنيابة ولا بالخلافة ولا بالبنوة ولا في الارض ولا في السماوات ولا في أي مكان ولكن لانه يعلم ما لا تعلمه الملائكة والله هو العليم اذ ان العلم يتركب من علم الغيب وعلم الشهادة فليس لآدم عليه السلام الا شيء قليل من علم الشهادة **ولايحيطون بشيء من علمه الا بماشاء** وأما علم الغيب فهو لله وحده. فلذلك طلب الله تعالى من الملائكة السجود بتواضع للاعتذار لادم لا لعبادته فالسجود للعبادة لا يكون الا لله وحده فهي سجدت لادم لانها آدعت خطأ بأنها تعلم أنها أفضل من آدم في قولها :«ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك» وحاولت أن تتهم آدم بأنه سيفسد في الارض وسيسفك الدماء مثل المخلوقات الاخرى التي سبقته في الارض والذي هو خليفة لها ولكن الله يعلم غيب السماوات والارض و يعلم ما يبدون وما كانوا يكتمون فاتضح بعد استجوابها من الله تعالى أن آدم له من العلم ما ليس للملائكة فسجودها له هو أيضا سجودها للعلم الذي اتصف به آدم ولم تتصف هي به لا لذاته اذ انه مخلوق مثلها والله هو العليم فليس سجودها لعبادة آدم أو لكونه خليفة الله في الارض أي خليفة الخالق والحال أن آدم مخلوق فهو خليفة المخلوقات البشرية التي سبقته في الارض فهو مثلها مخلوق ولكن من تراب و يشترك معها في خلقته المادية التي هي من مواد عضوية لا من النور كالملائكة ولا من النار كالجن.

فهو خليفة خلفت سلفها مثلما تخلف الشجرة المقطوعة أغصانا من نوعها فآدم من نوع المخلوقات البشرية السابقة في الارض فهو من تراب مثلها و يرى و يسمع ويحس مثلها. ولكن اختص آدم بشيء عنها وعن كل المخلوقات الاخرى بما فيها الملائكة فهو يعلم شيئا ما أي أن لادم عقل كرمه الله به ولكن آدم مثل المخلوقات الاخرى يعبد الله ولا يُعَبِّدُ وقد قال الله تعالى :«**اجعلنا من دون الرحمان آلهة يعبدون**». وقال«**وما خلقت الجن والانس الا ليعبدوني**»وقال«**يعبدونني لا يُشركونبي شيئا**»

والحمد لله رب العالمين«**سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم**»و«**مايعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولو الالباب**»

وبما أن آيات القرآن تفسر بعضها بعضا فقد ورد هذا المفهوم في آيات عديدة أخرى نذكر منها :

﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ -٧١-

﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَآ
أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ -٧٦-

﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم
مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم
مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا
مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ -٦-

﴿١٣٣﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ
إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ
قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ -٦-

ذكر الله تعالى في القرآن الكريم أنه خلق كائنات بشرية في الارض قبل نزول آدم عليه الصلاة والسلام والقرآن الكريم هو المرجع الاول والوحيد الذي لم تسبقه في ذلك أي حضارة أو أي وثيقة منزلة أو غير منزلة والذي يذكر فيها بوضوح وجود مخلوقات بشرية على الارض فالتوراة والانجيل المعروفان يذكران أن آدم أب البشرية ولكن لا يوجد فيهما أي اشارة الى وجود مخلوقات بشرية أخرى قبل آدم على الارض مثل ما ينص عليه القرآن بوضوح.

ولم يقع اكتشاف بشر العصور الحجرية قبل آدم الا في القرن التاسع عشر الميلادي واكتشافنا جاء يؤيد ما أتى به القرآن الكريم منذ أربع عشرة قرنا. فهو مرة أخرى في عصر العلم الاعجاز العلمي الخالد للقرآن الكريم. هكذا لا تستطيع أي حقيقة علمية جديدة يكتشفها الانسان مهما كانت قيمتها تقدر على القرآن لان الله قال :

﴿٣٨﴾ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ -٦-

﴿٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ -١٥-

★

٢- السبع المثاني والقرآن العظيم

ولقد قال الله تعالى:

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ - ١٥ -

وقال:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ - ٩٦ -

حيث يأمر الله بالقراءة للانسان الذي خلقه الله. وقد خلق الله الانسان من عناصر مادية مختلفة في بعض المليارات من الخلايا التي يتركب منها جسمه وكل خلية تشابه أخرى في هيكلها الاساسي مهما اختلفت المهمات التي تقوم بها : في الجلد أو في الكبد..

وحجم الخلية التي تشبه البيضة لا تفوق بعض العشرات من الميكرونات وهي تتركب من نواة وهيولى أو حشوة. وتوجد في النواة التي تتركب من حامض نووي صبغيات وفي الصبغيات مورثات هي مسؤولة على تنظيم المادة التي يتركب منها جسم الانسان تنظيما محكما فيتكون منها الذكر والانثى والاسود والاشقر والطويل والقصير وكل

المعلومات مهما كانت دقتها والتي حسبها يبنى هيكل الانسان. و يبلغ حجم الصبغيات ٢ الى ٥ مكرونات وهي ٢٣ مثنى تنقسم الى سبع مجموعات وثامن لها مختص بالتمييز بين الذكر والانثى وقال الله تعالى :

﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ - ٣٩ -

﴿٤٥﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٦﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٧﴾ - ٥٣ -

وفي الاية الاولى لم يميز الله فيها بين الذكر والانثى فلذلك لم يذكر الا سبعا من المثاني أي من هذه الصبغيات وهو يتكلم عن الخلق وهو الخلاق العظيم وكمل ما كتبه للانسان في هذه المثاني بما أتي به له في كتابة القرآن العظيم فالمثاني لبناء هيكله المادي والقرآن العظيم لاكتمال هيكله الادبي والروحي فالمثاني للدنيا والقرآن العظيم تكميلا للدنيا وللاخرة سواء أكان الانسان ذكرا أو أنثى وكلها كتابة ومعلومات سواء أكانت مثاني الصبغيات المكتوب فيها بفضل العشرين حامضا أمينيا أو القرآن العظيم المكتوب بالثمانية والعشرين حرفا من اللغة العربية.

وفي الاية الثانية لا يتكلم الله فيها من أولها الى آخرها الا عن الخلق فهو قد ميز هنا من البداية بين الذكر والانثى فقد ذكر ثمانية

أزواج وهي فعلا نعمة الله علينا أن تكسب الخلية الاولى التي يخلق منها الانسان كل هذه المعلومات أولا لبناء هيكل الجسم وثانيا للقيام بالوظائف المختلفة في الجسم كالتنفس والهضم والدورة الدموية وغيرها والتي ليس لارادة الانسان أن تدخل فيها بحال من الاحوال..

ثم يذكر الله تعالى في الاية الثالثة أن جنس الانسان يتكون من المثنى الثامنة التي هي في نطفة الذكر لا من المثنى الثامنة في بويضة الانثى وهذا ما يبينه العلم الحديث. فهل كان لمحمد صلى الله عليه وسلم مجهر كي يرى مثنى الذكر أو الانثى و يعلم ما أتت به هذه الاية الكريمة خلافا لما كانت تعتقده البشرية جمعاء حينذاك وحتى آخر هذا القرن في أن جنس الجنين يأتي من المرأة لا من الرجل وكانت النساء اللآتي لاتنجبن الذكور يطلقن والحال أن الرجل هو المنجب لجنس الجنين لا المرأة كما يأتي واضحا في هذه الآية الاخرى في قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ يَكُ
نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ
مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ
عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ -٧٥-

وهنا «العلقة» هي الخلية الاولى التي يخلق منها الانسان.

وفي قوله تعالى «ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم» ماالذي يستوي و يسبق القرآن في الخلق بالنسبة للانسان سوى كلام الله الذي بفضله تكوّن الانسان ؟ وهو يحيي و ينشط حسب هذه

المعلومات المكتوبة فيه. فاذا كانت السبع المثاني هي الفاتحة فكيف تستوي الفاتحة مع كل القرآن وهل ليست هي من القرآن ؟

وهي نكرة«سبعا» فلو كانت هي الفاتحة لقال «السبع»بالتعريف فنحن لا نقول «فاتحة» بل «الفاتحة» بالتعريف وهي «سبع» لا «السبع» لانها ليست مماثلة عند انسان وآخر اذ أن كل انسان نسخة لا مثيل لها في الدنيا لان مثانيه تحتوي على كتابة فريدة من نوعها ووحيدة في الدنيا فلكل انسان «سبع» من المثاني وأما القرآن فهو واحد لا ثاني له اذ أنه كلام الله لكل المخلوقات. وكيف تبدأ الاية «بأن ربك هو الخلاق العليم» وكيف نفسر الخلق اذا لم تكن المثاني هي المعلومات والبرنامج العظيم المكتوب في كل خلية من خلايا الانسان كي يخلق وكيف نفهم في الاية (٦/٣٩) المذكورة أن الانعام هي الابل والبقر... وقد ذكر الله في هذه الاية أربع مرات معنى الخلق وليس أي خلق بل خلق الانسان بالضبط وكيفية تكوينه فلا بد لنا أن نفهم أن المقصود من كلمة «أنعام» هذه هي الصبغات التي تحتوي على برنامج خلق الانسان كما ذكرنا.

وكل خلية تحتوي على أكثر من أربعين ألف مورثة في صبغياتها لا نعرف منها اليوم سوى مائة تقريبا وتحتوي المورثات على أكثر من خمس مليارات من الكلمات مكتوبة بفضل أربعة حروف وهي الاربع قواعد ازوتية تتجمع ثلاثيا فتحصل منها ٦٤ كلمة تتلخص في عشرين شكلا فقط وهي العشرون حامضا أمينيا المعروفة.

فنستطيع أن نقول أن كل خلية من خلايا جسم الانسان تحتوي على مكتبة ضخمة جدا يوجد فيها أكثر من خمس مليارات من الكلمات أي ثلاثين ألف كتاب تقريبا من الحجم المتوسط ولكن هذه المكتبة

الضخمة غير مفتوحة كلها لاي خلية فكل خلية تفتح بعض الكتب ان صح هذا التعبير فخلية الكبد تفتح كتابا يختلف عن الكتب المفتوحة في خلية الجلد. فمن الذي يفتح الكتب و يغلقها ؟ هذه هي المعجزة التي لا يعلمها الا الله.

وهذه المعلومات مكتوبة على شكل سلم لولبي معلقة فيها كلمات ولا تستعمل الكتب مباشرة كي لا يقع تغيير أو خلل في الكتابة ولكن تسجل المعلومات كلما دعت الحاجة لها وتخرج نسخة مطابقة للاصل أي لما في الكتب وتستعمل هذه النسخة ولا يستعمل الاصل أبدا حتى يبقى محفوظا وهي معجزة أخرى. والقرآن أيضا محفوظ اذ قال الله تعالى:

﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾ -٨٥-

وهناك معجزة أخرى تتمثل في تنسيق الخلايا فان الخلايا المتماثلة في كيانها والمختلفة في وظائفها وهي في عدد أكثر من خمس مليارات كيف يقع التنسيق بينها و بين وظائفها ونشاطها ؟ وكيف يعدل اختلافا يطرأ بينها ولا يستطيع العالم اليوم أن يدرك هذا التنسيق العجيب الذي هو معجزة أخرى.

وهكذا يقرأ الانسان بدون أن يشعر بما في خلاياه كي يبني هيكله و يقرأ ما في القرآن ليتطور فيتثقف و يسمو و يعيش عيشة و يهيء نفسه للاخرة بعمل الخير ولا يكون كل ذلك الا بالايمان بالله الذي خلق ولذلك أولى الايات التي أنزلها الله هي :

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ -٩٦-

«خلق الانسان من علق» لا من علقة كما قال في آية أخرى والعلق هنا هي بالضبط تلكم المعلومات المعلقة كما ذكرنا في كل مورثات الخلايا وخاصة في المورثات التي يحمل نصفها الحيوان المنوي ونصفها الاخر بويضة الانثى فكلمة «اقرأ» الاولى تهم المعلومات التي تحتوي عليها الخلية الاولى كي يتكون منها هيكل الانسان وكلمة «اقرأ» الثانية تهم ما علمه الله للانسان بالقلم وهو القرآن العظيم وذلك مطابق تماما لقوله تعالى «ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم» فيتكون هيكل الانسان بفضل معلومات العلق و يشيد مستقبله وتطوره الثقافي بفضل معلومات القرآن العظيم.

وفي يوم القيامة سيقرأ المرء كتابه الذي يحتوي على كل ما نواه في أعماله الدنياو ية. ولا نعلم اليوم أين تكتب نيات الانسان في أعماله الدنياو ية خيرا كانت أم شرا حتى يقرأها يوم القيامة ولا يعلم العلم اليوم شيئا عن ذلك وذكر الله تعالى هذا الكتاب أما على يمين الانسان أو على شماله أو...وراء ظهره في آيات عديدة منها : (٧١/١٧) و (١٩/٦٩) و(٢٥/٦٩) و(٢/٨٤) و(١٠/٨٤).

وبمقتضى هذه المعلومات يعيد الله خلق الانسان مثل ما يعيد خلق النبات بفضل المعلومات الكامنة في الحبة الجامدة والتي تبقى جامدة مئات السنين قبل أن يصدر عنها النبات الحي.

وقد قال الله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ
فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ
مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ

مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ ۚ
وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ
وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ
وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ٢٢٠-

وقال أيضا:

﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ
وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ٣٠-

ولكن السبع المثاني لا تكفي لان مهمتها تكوينه المادي لا تكوينه الثقافي وقد وجد طفل منذ سنوات يبلغ عمره عشر سنوات تقريبا يعيش مع الذئاب في الهند فهو يمشي مثلها على أربع أقدام و يعوي مثلها ذلك أنه لم يعرف الا الذئاب فلم يأخذ الا منها ولم يتكوّن ثقافيا فأصبح حيوانا رغم من أن بنيته بشرية.

واكتشف أيضا جندي أمركي في جزيرة من جزر المحيط الهادي أتلفه فريقه الذي غادر الجزيرة منذ أكثر من عشرين سنة فعاش الجندي وحده طيلة هاته المدة وتدهور ثقافيا فاصبح يعيش مثل الانسان الحجري فلا بد اذا من الرصيد الثقافي لتكميل الانسن والاخذ من المحيط أي الاخذ من الابوين ومن المربين ومن البيئة عامة ولكن هؤلاء أخذوا

بدورهم من أبو يهم ومربيهم الخ ...الى أن نصل الى الانسان الاول أي الى آدم **وقد علمه الله الاسماء كلها** أي أن منبع الثقافة كلها ربانية في كلام الله وفي الكتب المنزلة وآخرها القرآن الكريم لان الانسان مثلما لايستطيع صنع المادة التي يتركّب منها جسمه فيستوعبها من المحيط المادي ويحولها فقط فهو لا يستطيع أيضا صنع الافكار فيستوعبها من حوله ويحولها في عقله مثلما يحوّل العناصر المادية في جسمه.

ولقد أحسن الله بذلك خلق الانسان الذي خلقه على «أحسن تقويم» بفضل الرصيد الوراثي الذي يوجد في السبع المثاني والرصيد الثقافي الذي يوجد في القرآن العظيم.

★

٣ ـ اللغة العربية

أ ـ دراسة الآثار الصوتية للغة

ب ـ الصوت

ج ـ الصورة

د ـ العربية خالدة

أ ـ دراسة الآثار الصوتية للغة

انـي نـشأت في مـدينـة المهدية ولاحظت منذ الصغر أن الشيوخ اذا وجدوا ورقة مكتوبة مهملة في الطريق أخذوها وحفظوها بمكان لائق أو أحرقوها واني رأيت وأنا في السادسة من عمري رجلا من جيراننا يأخذ قطعة جريدة ملقاة في الطريق و يضعها في مكان محفوظ في الحائط فقلت له: «لماذا تفعل ذلك ؟» فأجابني : «يا أبني ان الكتابة مقدسة خاصة اذا كـانـت عـربـيـة لان الله أوصى بها وقال «اقرأ» وأقسم «بالقلم» و«بما يـسـطـرون» فيجب علينا أن نـحـتـرمها ولا ندعها تداس تحت الاقـدام». فـرسـخـت تـلـك الـكـلمة في ذهني الصغير كما نقشت على الحجر.

ولاحـظـت أيضا أن الكتب وخاصة المخطوطات منها كانت تحفظ في الـبـيـت مـثـل الامـلاك الـثمينة كالذهب والفضة وعقود الملكية... وتـورث مـثـلـهـا أبا عن جد و يكتب عليها «هذا ملك فلان» أو «ورثه فلان عن فلان»...

فهذا المحيط المهدوي الرفيع والمتقدم والواعي جعلني أحترم اللغات كـلامـا وكتابة وأوليها آهتماما خاصا وأدافع عن لغتي العربية وأجاهد في سبيلها.

وتتركب اللغة من كلام وكتابة وقد مضى زمن طو يل قبل أن يصل الانسان الى تعاطي اللغات مثل ماهو الحال اليوم فلا يوجد أي أثر مادي يـدلـنـا على كـيـفـيـة تـطـور الـكلام ثم من الكلام الى الكتابة برموز ثم بـالحروف الابـجـدية ولا شيء في الا ثار المادية يدلنا على العملية التي وقعت منذ زمن طو يل. لكن المعلوم أن الانسان تكلم قبل أن يكتب اذ

أن الكتابة هي بالضبط تثبيت الكلام فاذا بحثنا في آثار الكلام نفسه ربما وجدنا الكيفية التي تكلم بها الانسان ثم الكيفية التي وضع بها الحروف الابجدية ولذلك ينبغي علينا أن ندرس اللغات القديمة التي بقينا نستعملها ونحسنها الى الان.

وأي لغة أقدم من اللغة العربية التى نتكلم بها اليوم ؟ ولغات عديدة أصغر منها سنا اندثرت كاللاتينية وغيرها... وأما في اللغة العربية فاذا اعتبرنا شعر امرىء القيس مثلا الذي قيل منذ سبعة عشر قرنا فهو يفهم اليوم و يقال شعر مثله. فبحثت عن آثار تكوين اللغة وكتابة الحروف في اللغة العربية واكتشفت نتائج هامة عديدة.

وقد تطور الكلام والكتابة في اللغات الاخرى كما تطورت جميع وسائل التعبير والاتصال الاخرى كالغناء والموسيقى والرقص والتصوير والنحت على الحجر الى غير ذلك كلها ترتبط بعملية تجريد الاشياء والحوادث في عقل الانسان أي بعملية تصويرها في عقله وتسميتها بالمفهوم العام وهذه العملية هي التي تهيء الانسان للتفكير فتجريد الوجود في ذهن آدم هو بالضبط قصد الاية الكريمة : «وعلم آدم الاسماء كلها». ومن ذلك يستطيع الانسان أن يسمي الاشياء والحوادث صوتا أو خطّا أو صورة أو نحتا أو غناءا أو رقصا أو ألوانا أو أي اشارة أخرى مادية أو شعاعية وهي كلها أشكال أسماء.

★

ب ـ الصوت

لا بد لبشر ما قبل التاريخ أنهم حاولوا الاتصال بعضهم ببعض للتعبير عن أشياء أو أفكار أو شعور بواسطة أصوات واذا افترضنا أن حلقه قادر على أن يخرج الاصوات كلها وحددناها مثلا الى ثماني وعشرين صوتا كما هي في اللغة العربية فلا بد لهذا البشر أن يتفطن أن هذه الثماني والعشرين صوتا لا تكفي للتعبير عن ما يريده فمزج الاصوات لان الاصوات مثل الضوء كلها أمواج فالاولى أمواج هوائية والثانية أمواج كهراطيسية فالضوء الابيض يحمل جميع الالوان وعدد الالوان لا نهاية له والعبرة ليست في تعدد الالوان الى ما لا نهاية لها بل العبرة في اختيار عدد محدد من الالوان نستطيع بمزج البعض منها تكوين الالوان الاخرى كلها. فالصورة الملونة لا تستعمل الا اربعة ألوان أساسية سواءا كانت صور حبر على الورق أو صور الاذاعة المرئية الخ.. وكذلك الكلام فقد حدده العرب في ثماني وعشرين صوتا فقط ومزجوا الاصوات فاذا مزجنا صوتين مع احتمال التكرار تحصلنا على ٧٨٤ كلمة وهذا العدد هو تقريبا عدد الرموز في الكتابة المصرية القديمة تكلمت به أقوام مصر القديمة وكتبته برموز.

ولكن هذا العدد نفسه لا يكفي للتعبير على كل شيء فمزجوا ثلاثة أصوات معا مع امكانية تكرار اثنين منها و ينتج عن ذلك ٢١٩٢٤ كلمة جديدة وهذا يكفي تماما للتعبير تعبيرا مقبولا والمعروف أن وزن أصل الكلمات المشتقة هو "فعل" وهو يتركب من ثلاثة حروف أي ثلاثة أصوات. واذا مزجنا أربعة أصوات وجدنا ٦٠٩٣٣٦ كلمة جديدة وهذا عدد ضخم جدا.

واتبع الانسان أسلوب اخراج الاصوات كما يتبعه الطفل اليوم فهو نطق بصوت واحد كالطفل في بداية الكلام فصوت ثم صوت متكرر ثم صوتين مختلفين... فيقول الطفل : "ما" ثم "ماما" و"با" ثم "بابا" ثم "يم" و"هب" ثم "هبا"... ثم ثلاثة اصوات الخ... الى أن يصبح قادرا على الكلام العادي.

وبهذا الاسلوب بالضبط يخاطب الانسان العربي الحيوان الى الان فهو لا يستعمل الا صوتا واحدا أو أحيانا صوتين : فهو يقول للخيل "أص" وللجمل "اخ" وللحمار "ار" وللغنم "أس" وللقط "كس"...

فلا بد للغة العربية أن مرت من هذه المراحل الى أن بلغت ثلاثة اصوات وأحيانا أربعة في الكلمة الواحدة ولكن مزج الاصوات لم يكن آليا بل تمليه الحقائق الكونية والمحيط الطبيعي فعندما يختلس أحد شيئا خفية فهو لص وعندما يأخذها عنفا فهو سارق فحرفي اللام المكسور والصاد المشدد ضعيفي الوقع مثل الفعل نفسه الذي هو خفي ولكن حروف السين المفتوحة والراء والقاف فيها شدة في الوقع مثل الفعل المعبر عنه. وكذلك "الرعد" فهي كلمة شديدة الوقع مثل الشيء المعبر عنه والضحك لطيف كفعل الضحك ولكن الضحك نفسه فيه الابتسامة وهو الضحك اللطيف والقهقهة وهو الضحك الشديد وحروف الكلمات كلها تتناسب مع الفعل أو الشيء المعبر عنه.

فكان اختيار الاصوات ومزجها اختيارا محكما خاصة وان العدد الممكن لمزج ثلاثة أصوات عدد كبير جدا كما ذكرنا ودامت هذه العملية آلاف السنين ان لم يكن أكثر. واختصت اللغة العربية في تركيبها بهيكل متين ملائم لها تتمثل في الأوزان والمشتقات.

★

ج ـ الصورة

ولكن بشر ما قبل التاريخ ولع أيضا بالتصوير منذ أكثر من عشرين ألف سنة فقد صور الحيوانات مثلا على جدران الكهوف ونحت الحجارة كما رأينا ذلك في منطقة المهدية و بدأ هكذا يطابق أصوات حلقه مع صور يديه و ينتقل من نعت الحيوان في الحقل الى تشخيص الحيوان على الحجارة بصورة أو نحت... ودامت هذه العملية آلاف السنين.

وشيئا فشيئا انتقلت وظيفة الصورة المخطوطة أو المنقوشة من وظيفة فنية الى وظيفة تعبيرية يتطابق فيها الصوت مع الصورة. فاكتشف الانسان منذ أكثر من خمسة آلاف سنة أنه يستطيع التعبير بفضل مزج الصور وتنظيمها فنشأت الكتابة الرمزية في مصر القديمة و بلاد السومار و بلاد الصين وقد بقيت الى الان شعوب كثيرة على هذه الحالة أي أن كتابتهم تتمثل في تصوير الاشياء و يكون عدد الصور كبيرا جدا لا يستطيع كل انسان حفظها فمن ٢.٠٠٠ صورة منذ ٥.٠٠٠ سنة انخفض عدد الرموز في مصر القديمة ووصل الى ٧٠٠ فقط في آخر العهد. ويمثل هذا التقدم تطورا بريعا لتعميم العلوم والثقافة بين كل البشر بينما كانت تنحصر في محيط الكتّاب المصريين القدامى وحدهم الذين كانوا يستطيعون بسهولة تامة تخفيض عدد الصور من بعض مئات الى بعض عشرات ومن ثم يكتشفون الحروف والكتابة الابجدية ولكن الكتاب المصريين القدامى كانوا يخفون العلم والمعرفة في كل شيء فكان بناء الهرم والمعابد سرا وعلم الفلك سرا الخ... وأيضا القراءة والكتابة سرا.

★

د ـ العربية خالدة

ان أكبر مهمة للغة هي اتصال المخاطب بالسامع أو الكاتب بالقارىء أي اتصال الراسل بالمرسل اليه عبر المكان والزمان.

ونستطيع اليوم بفضل اللغة العربية التي هي أقدم اللغات المعروفة أن نتصل مثلا بشعراء عرب قدامى كامرىء القيس واذا كتب كاتب اليوم شيئا باللغة العربية فانه من المتأكد أن كتاباته ستصل باذن الله الى الاجيال القادمة وهذا هو الاتصال عبر الزمان ماضيا ومستقبلا. ان الرصيد الثقافي في اللغة الفرنسية لا يفوت القرنين لان لغة القرون السابقة ماتت ولم يبق يفهمها أحد فانقطعت الامم عنها وضاعت منهم الثقافة التي كانت تحملها وأما في اللغة العربية فان الرصيد الثقافي دام آلاف السنين.

وقد انتزع أحياناً من أقوام رصيدهم الثقافي العريق نطقا أو كتابة وكادت هاته الاقوام تموت وتندثر ويمثل ذلك اجرام تاريخي لا يضاهيه شناعة الا قتل الاقوام أنفسهم لان فصلهم عن رصيدهم الثقافي الذي تحمله لغتهم لحياتهم المعنوية يتساوى تماما مع فصلهم عن رصيدهم الوراثي التي تحمله صبغياتهم في خلاياهم الجسدية لحياتهم المادية.

فكادت فرنسا أن تنفذه في شمال افريقيا لولا عظمة اللغة العربية واستطاع أن يحققه أتاتورك بكتابة اللغة التركية بحروف لاتينية فاقتلع الاتراك من تراثهم الثقافي المجيد المكتوب بالحروف العربية ويحاول اليوم الكيان الصهيوني المجرم انجازه في فلسطين المحتلة بمحق اللغة العربية كلاما وكتابة وتعويضا بلغة صهيونية ليست حتى العبرية القديمة.

وان اللغة العربية لغة ألف مليون مسلما موزعين في كل القارات وهذا هو الاتصال عبر المكان ولكن اذا اعتبرنا كل من تكلم العربية عبر المكان والزمان وجدنا عددا هائلا نتحصل عن مقدار تقريبي كالاتي:

لنفترض أن اللغة العربية تكلمها أولا اسماعيل عليه السلام منذ أربعة آلاف سنة واذا قدرنا عمر جيل باربعين سنة نجد:

٤٠/٤٠٠٠ = ١٠٠ جيلا يفصلنا من اسماعيل عليه السلام. ولنعتبر أن نمو الذين تكلموا العربية وقع بصفة تدريجية و بلا انقطاع ولا تكثف: فكل جيل ازداد عدد اشخاصه بكمية «س» حسب العلاقة: $(س)^{100} = 10^{9}$ أو خو"س" = $\frac{9}{100}$

وهو عدد الالف مليون مسلما الذين يتكلمون اليوم اللغة العربية. وهذا يعطينا قيمة «س» التي هي: س=١،٢٣ ثم المجموع المطلوب هو:

$$1 + س + (س)^{2} + (س)^{3} + \dots + (س)^{100} = 10^{9} \times 5{,}2$$

أي أن مجموع الذين تكلموا العربية منذ اسماعيل عليه السلام هو **٥،٢ ألف مليون انسانا** وهذا العدد تقريبي ونستطيع أن نقول بتأكيد أن الذين تكلموا العربية يعدون **بآلاف الملايين** والمخطوطات التي أبقوها يبلغ عددها **مليون مخطوطا** مبعثرة في مكتبات العالم.

وقد ذكرنا هذه الارقام لتعيير قيمة الثقافة العربية الكبيرة جدا وهي عظيمة ولا يقدر عليها أحد ولو باستعمال الحديد والنار وهذا ما ذكرته في سنة ١٩٥٤ عند اندلاع الثورة الجزائرية* بأن الجزائر مسلمة عربية رغم كيد الاستعمار الصليبي الذي حاول محقها ولا بد أن يكون النصر للعروبة والاسلام وهذا ما حدث فعلا.

* راجع في مجلة أول نوفمبر (الجزائر). عدد ٢٢. رجب ١٣٩٧ هـ جوان ١٩٧٧م مقال للمؤلف عنوانه: نحو الوحدة الشاملة ـ صفحة ٤٥.

ويختلف الامر بالنسبة للغات الاخرى التي مات بعضها كاللاتينية واليونانية رغم أن اللغة العربية نشأت قبلها ... وأما اللغات التي توصف بأنها حية ومتطورة فهي قاصرة عن أداء مهمتها في الزمان و في المكان. فاذا أعتبرنا مثلا نصا كتب منذ أكثر من قرنين في الفرنسية أو الانقليزية... فاننا لا نفهمه اليوم الا باستعمال القواميس وان لغة "منتاني" ولغة "شاكسبير".. قد ماتتا منذ زمان طويل وأصبحتا عاجزتين عن الاتصال بالاجيال الجديدة واذا اعتبرنا الفرنسية مثلا في فرنسا فهي تختلف عن الفرنسية في بلجيكا أو في سويسرا أو كندا... لهجة وتركيبا وكذلك اذا اعتبرنا الانقليزية في بريطانيا فهي تختلف عن الانقليزية في أمريكا أو في كندا لهجة وتركيبا. وهذا يدل أيضا على عجز هاته اللغات عن الاتصال عبر المكان.

وأما العربية فهي واحدة في كل زمان وفي كل مكان بفضل القرآن الذي نشرها وثبتها.

وتكتب العربية من اليمين الى الشمال وهو الامر الطبيعي لان ملكة الكتابة توجد في شمال مخ الانسان أي أنه ينبغي عليه أن يكتب بيده اليمنى وبما أن الكاتب ينظر الى أمامه أي الى الفراغ الذي يكتب فيه مثل الماشي الذي ينظر الى الامام في الطريق الذي يمشي فيه لا ينظر الى الوراء أي الى الطريق الذي مر فيه فوجب على الكاتب الذي يكتب بيده اليمنى أن يكتب من اليمين الى الشمال لا من الشمال الى اليمين مثل ما تكتب اللاتينية مثلا حيث لا يستطيع أن يرى الكاتب سوى الكتابة التي كتبها مثل الماشي الذي ينظر الى الوراء ينظر الى الطريق الذي مشى فيه وهذا الامر غير طبيعي.

وتعتمد اللغة العربية الايجاز حتى تصل الى الاشارة وفيها تصرّف في التراكيب بما يغني عن العبارة فالكلمة الواحدة لها ألوان عديدة من المعاني.

وللعربية مرونة كبيرة تتنقل بك من عالم الحس الى عالم العمنى أو العكس بسهولة ومرونة جعلت كل الاجانب عنها الذين تعلموها يصفونها بأنها لغة سحرية فهي مثل شريط الخيالة الطبيعي كل شيء يتحرك فيها بتواصل و بصفة طبيعية ولكن كل اللغات الاخرى مثل شريط الصور المتحركة ينقص في تركيب الحركة فيها حلقات عديدة تجعلها تستمد المعاني من المؤلف بدون أن تؤديها بأكملها وأما العربية فهي التي تدفع في معاني المؤلف حركية وحياة.

ولذلك اصطفاها الله لان تكون لغة كلامه مخاطبا بها كل المخلوقات في الكون وقد قال الله تعالى: «قرآنا عربيا غير ذي عِوَج لعلهم يتقون» (٣٩/ ٢٨).

وقال الشاعر المرحوم حافظ ابراهيم على لسان اللغة العربية:

وَسِعْتُ كِتَابَ اللَّهِ لَفْظًا وَغَايَةً ... وَمَا ضِقْتُ عَنْ آيٍ بِهِ وَعِظَاتِ
فَكَيْفَ أَضِيقُ ٱلْيَوْمَ عَنْ وَصْفِ آلَةٍ ... وَتَنْسِيقِ أَسْمَاءَ لِمُخْتَرَعَاتِ
أَنَا ٱلْبَحْرُ فِي أَحْشَائِهِ الدُّرُّ كَامِنٌ ... فَهَلْ سَأَلُوا ٱلْغَوَّاصَ عَنْ صَدَفَاتِي

ولا يستطيع اليوم أحد أن ينقل ما في القرآن بلغة ما عربية كانت أم غير عربية اذ أنها وصلت في القرآن الى قمة البيان والبلاغة.

فالقرآن كله اعجاز في شكله وفحواه وهو الاعجاز الوحيد في الاسلام واللغة العربية هي التي اختارها الله لان تحوي هذا الاعجاز فزيادة على تأدية المعاني السامية الخالدة في القرآن الكريم نسّق الله تعالى القرآن حتى صارت السور والآيات ثم الكلمات وحتى الحروف في توازن عددي يعجز عن نقله أي عالم وان استعان بأحدث الحاسبات الاكترونية.

والمعلوم أن الاعداد هي لغة الطبيعة فاكتملت هكذا اللغة العربية بلغة الاعداد في زمان لم يكن للانسان علم كبير عن الاعداد. وقال الله تعالى:

﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ
وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾ - ٧٣ -

ولم يترك الله في القرآن الجمال الصوتي الذي كان بدائيا عند شعراء العرب رغم أنهم يعتبرون نابغة شعراء الانسانية فنجد في القرآن التركيب الصوتي في نبرات حروفه وحركاته حتى أنه يُجوّد فيقع في النفوس وان لم تفهم معانيه.

فلا بد لنا اذن أن نعتني بهاته اللغة العربية عناية خاصة لنجاح الدعوة الاسلامية ولا بد لنا أيضا أن نيسر تعلمها وننشرها بشتى الوسائل والاساليب في كل ربوع الدنيا.

وفي هذا القرن الخامس عشر الهجري فان أخطر التحديات التي تواجهنا هي المؤامرات على اللغة العربية وهي تمثل عنصرا من عناصر الاستعمار الثقافي والغزو الفكري اللذان يهدفان الى تحطيم الاسلام وخاصة الكتاب المنزل القرآن الكريم بعزل المسلمين عنه من ناحية وتحطيم وحدتهم وتشتت صفوفهم من ناحية أخرى.

وقد أبدى المخربون النظريات العديدة في هذا المجال:

أ ــ محاولة تدعيم اللهجات العامية في كل الشعوب العربية والاسلامية وما اللهجات إلاّ ظرفية في المكان والزمان.

ب ــ ادعاؤهم بعجز العربية لمواكبة العصر الحديث وتدعيم لغة أجنبية هي دائما لغة المستعمر القديم لتمادي الاستعمار السياسي والاقتصادي وهي لغة علم وتقنية من آلاف السنين.

ج ــ محاولة كتابة العربية بالحروف اللاتينية وهذا جنون كما سيتبين لنا.

د ــ محاولة بث نظريات حياة اللغات وموتها وادعاؤهم بأن العربية لغة ميتة. وهذا لا ينطبق الا على لغاتهم ولا ينطبق على العربية لانها لغة الدين والدنيا.

وقد قال الله تعالى:

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ - ٦١ -

وأن صحت ربما نظرياتهم اذا طبقت على لغاتهم الدنياوية التي لا تصلح سوى للمعاملات اليومية المحدودة في المكان والزمان كما سبق بيانه ولم يتكلمها سوى بعض الملايين من البشر فان هاته النظريات غالطة بالنسبة الى اللغة العربية لانها لغة الدنيا والدين ولغة ثقافية لالف مليون مسلم حيا ولغة ٥ ألف مليون نسمة وهي لغة القرآن وهذا وحده يكفي لان تخفق كل المآمرات وقد قال الله تعالى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ - ١٥ -

واذا لم تحي اليونانية رغم كتابة ارسطاطاليس بها ولم تحي اللاتينية رغم كتابة سيسرون بها فان العربية حية دائما بفضل كتاب الله العزيز القرآن الكريم الى أن يرث الله الارض ومن عليها.

فتعلم العربية وتعليمها أصبحا جزئين من الدين الاسلامي وهي اللغة الثقافية لكل المسلمين ولذلك ينبغي علينا أن نولي لها الاعتناء الكامل لتعلمها وتعليمها والمعاملة بها في جميع نشاطنا اليومي بل وحتى المعاملات مع غير المسلمين حتى تفتح لهم نافذة على الثقافة الاسلامية بصفة عامة وعلى كتاب الله العزيز بصفة خاصة.

★

٤ - الحروف الاولى عربية

أ - تاريخ الكتابة

ب - نشأة الحروف الابجدية

ج - الحروف الابجدية عربية الاصل

د - الارقام عربية

أ ـ تاريخ الكتابة

ان كل الباحثين يجمعون اليوم على أنهم يجهلون من وضع للمرة الاولى الحروف الابجدية وأين ومتى وكيف وقع ذلك وسببه أنهم لم يكتشفوا في الآثار المادية التي عثروا عليها كتابة تدل على ذلك. والمعلوم أن الكتابة اكتشفت منذ آلاف السنين حيث لا يوجد ورق ولا آلات عادية ولا أدوات كتابة في متناول كل انسان والقراءة والكتابة والثقافة بصفة عامة كانت ملكا لبعض الخواص المحضوضين في المجتمع فاذا كان الذي اكتشف الحروف الابجدية من عامة الناس غير محضوض ماديا فهو لا يستطيع ابقاء كتابات نعثر اليوم على آثارها كالحجارة أو الخزف المنحوت فالبحث في هذا المجال وامكانية العثور على آثار كتابة أبجدية قديمة يصبح صعبا ان لم يكن مستحيلا.

فما العمل اذا؟ ينبغي علينا هنا أن نفتش عن آثار الكتابة * في الكلام نفسه الذي وصل الينا نطقا لا كتابة أي ينبغي علينا أن نبحث

* المراجع: ١) روح الخط العربي كامل البابا (دار العلم للملايين) لبنان.

2) Les écritures figuratives et hiéroglyphes
Léon de Rosny (Maisonneuve et Cie Paris, 1870
3) Vocabulaire hiéroglyphique (Dictionnaire manuscrit).
Paul Pierret (F. Vieweg, Librairie Editeur, 67 Rue Richelieu, Paris, 1875).
4) Introduction à l'étude des hiéroglyphes
H. Sottas et E. Drioton
(Librairie Orientaliste Paul Genthner, 13 Rue Jacob, Paris, 1922)
5) La Grande Invention de l'écriture
Marcel Cohen.
6) Grand Larousse Encyclopédique, 1963
7) Les Origines de l'écriture arabe
Janine Sourdel-Thomine.
(Revue des Etudes Islamiques, 1966)
8) Naissance de l'Homme
Robert Clarke (Editions du Seuil, Paris, 1982)
٩) الحضارات ــ لبيب عبد الستار (دار المشرق ــ لبنان)

هل بقيت في كلام لغة ما آثار الحروف الابجدية وهذا ماأسميه «**علم آثار الكلام**». والمعلوم أن اللغة العربية بقيت ثابتة على مرّ الزمن فالشعر الجاهلي الذي قيل منذ أكثر من سبعة عشر قرنا مازال كأنه قيل بالامس والكلام الذي كتب على قبر أمرىء القيس الذي مات سنة ٣٢٨ ميلاديا في جبل الدروز في صحراء النمارة وهو: «هذا قبر امرىء القيس بن عمرو ملك العرب كلهم الذي نال التاج...» كلام مازال يكتب اليوم على القبور بدون أي تغيير وهذه اللغة الثابتة مكنتنا من معرفة ماوقع في الماضي البعيد وربطتنا بأجيال بعيدة جدّا منا في حالة أن الاوروبي لا يفهم شيئا مما كتبه أجداده قبل ثلاثة قرون فقط فهو لا يفهم ما كتبهُ رَبُلِيٌ ولا رُنْصَارٌ... وهو منقطع عنهم وما يكتبه هو بدوره له احتمال كبير أن لن يصل الى أحفاده بعد قرن أو قرنين.

يقول الخطاط كامل البابا في كتابه «روح الخط العربي» (١٩٨٣): «ففي سنة ١٩٠٤ ــ ١٩٠٥ اكتشفت في سيناء نقوش بخط يقرب من الخط المصري الهيروغليفي وقد ظلت هذه النقوش غير مقروءة حتى تمكن من حل رموز بعضها المستشرق (أبريت) سنة ١٩٤٨ وكان أهم ماخرج به من هذه النقوش اكتشافه أمرا هاما هو أن الالفباء السينائية تحتوي في الواقع على الثمانية والعشرين حرفا التي تتألف منها الالفباء العربية وقد لاحظ (فان دي براندن) أن منطقة سيناء التي عثر فيها على هذه النصوص كانت تابعة للعالم العربي على الرغم من أنها كانت محتلة من المصريين وان سكان هذه المنطقة الذين كانوا يعملون في مناجم النحاس والفيروز هم الذين اخترعوا على الارجح هذه الالفباء ليكتبوا بها لغتهم التي كانت تحوي ثمانية وعشرين صوتا والتي يرجح انها لغة عربية. أما النقوش التي تركوها فيعود تاريخها الى

زمن يتراوح بين ١٨٠٠ و ١٥٠٠ قبل الميلاد انتشرت هذه الالفباء في الشمال حيث اعتمدها وطوعها الكنعانيون للغتهم التي لم تكن تحوي أكثر من ٢٢ صوتا وكان ذلك في القرنين الثالث عشر والرابع عشر قبل الميلاد وكان الانتشار في الشرق على يد أهالي مدين وهم الذين أشاعوها في الغالب بين سكان بادية الشام الذين كانوا يتوافدون للقيام بمناسكهم في "دير الله" ان الالفباء ديرالله تحتوي على ٢٨ صوتا وان آثاره الخطية تنطق باللغة العربية».

و يقول "روباركلارك" في كتابه "ولادة الانسان" * في فصل الكتابة "الحروف الأبجدية الأولى" : «و يوجد مرجع آخر لاكتشاف الحروف الأبجدية الأولى في كتابة غامضة توجد في منجم فيروز قديم بسيناء حيث يتساءل "جامس فيفريي" عن تأليفها ربما يكون ذلك من طرف الكتاب المصريين القدامى أنفسهم الذين استنبطوا وسيلة لاتصالهم بالعملة الساميين** الذين كانوا يشتغلون في مناجم الفيروز. الاّ اذا كان هذا الاختراع الأصلي من صنيع هؤلاء "المساكين" لأنّ هؤلاء الساميين شعروا بحاجة اكتساب كتابة يمتلكونها بذاتهم في مجابهة المصريين القدامى المهيمنين وهذه أحسن وسيلة لغرض ذاتهم الثقافية أو لمخاطبة "سيّدة الفيروز" الهة هاثور توسّلا في معبدها حيث اكتشفت اللّوحات التي تحمل الآثار الأولى للحروف الأبجدية».

---

* أنظر كتاب ولادة الانسان: روبير كلارك.

** وهم عملة عرب يسكنون بسيناء تحت حكم الفراعنة ولا يذكر المؤلف في كل كتابه ولو مرة واحدة اسم «عرب» ولا اسم «اسلام» والاديان السماوية التوحيدية عنده هي دين موسى عليه السلام ودين عيسى عليه السلام فقط ولا يذكر أبدا دين محمد عليه الصلاة والسلام رغم ان المؤلف كتب صفحات جيدة أولا في "الثقافة" من صفحة ٣٢ الى ٣٤ من كتابه ثانيا في "الميز العنصري" من صفحة ٨٠ الى ٨٢.

وقبل اكتشاف الحروف الأبجدية كانت الرموز هي المستعملة للكتابة وعدد الرموز المصرية القديمة آلاف ولم ينخفض عددها في العصور الفرعونية الأخيرة الاّ الى سبع مائة (٧٠٠) رمزا فقط وكذلك السومارية والصينية... ولا يوجد أحد من الشعب يستطيع حفظ المئات أو الآلاف من الرموز ليكتب و يقرأ ذلك أن الكتّاب المحترفين أبقوا عمدا مهنتهم سرية الى أن وقع اتصال عمال عرب في مناجم سيناء بالرمز المصري القديم فأنبثقت الشرارة الكبرى التي هي من وحي الاهي والتي مازالت تضيء على الانسانية منذ أربعة آلاف سنة الى اليوم اثر التقاء الكتابة المصرية القديمة العظيمة باللّسان العربي المبين وابتكر هؤلاء العرب الكتابة الأبجدية الجديدة منذ أربعة آلاف سنة وهذا هو عصر سيدنا ابراهيم عليه‌الصلاة والسلام وقد سافر من العراق الى كنعان سنة ١٨٠٠ قبل الميلاد وعاش متنقلا في كل منطقة الشرق الاوسط من العراق الى كنعان ثم الى فلسطين ثم الى سيناء ثم الى مصر ثم الى الحجاز والى مكة بالضبط وزوجته سارة من بين أهله ولكن زوجته الثانية هاجر مصرية الاصل واللغة التي تنقلت معه من مصر الى مكة عبر سيناء ومكثت في مكة مع زوجته هاجر وابنه اسماعيل عليه السلام.

هذه الملاحظة التاريخية هامة جدا لأن ابراهيم عليه الصلاة والسلام كلمه الله فما هي اللّغة التي كان يكلم بها بدوره البشر وهو يتنقل في هذه الربوع الفاسحة من العراق الى مصر ومن فلسطين الى مكة ؟ اننا نعتقد أن ابراهيم خليل اللّه صلى الله عليه وسلم يحتمل أن قام بمهمة كبيرة في وضع الحروف الأبجدية كما سيتبين لنا.

ب ـ نشأة الحروف الابجدية

ان اللغة العربية تحمل في نطقها كتابتها وتحليل اللغة العربية منذ القدم في نطقها وأصواتها هو الذي دلنا الى النتائج الآتية.

ينحصر النطق العربي في عدد قليل من الأصوات النقية التي هي ثماني وعشرون صوتا لا تعتبر منها في الكتابة الآ اثني وعشرين فقط والستة الأخرى تكتب بنفس الحرف الأصلي وتنطق على شكلين حسب مكانها في الكلمة وذلك ربّما حرصا باتخاذ أقل عدد ممكن من حروف الكتابة لتسهيل حفظها عند العامّة ومخرج الحروف العربية يبدأ من آخر الحلق كحرف «ع» مثلا و ينتهي بين الشفتين كحرف «ف» مثلا.

لقد بحثنا عن الكلمات العربية الاثني والعشرين التي تمثلها الحروف أي الرموز المصرية القديمة فوجدناها كلّها مطابقة للنطق العربي لا للنطق المصري القديم فلنعتبر مثلا حرف الميم «م» كان أول ما استعمله العرب هو 〰 وهي الصورة الرمزية المصرية القديمة للماء ولكن تلك الصورة تنطق باللّغة المصرية القديمة «نِ» ومن ذلك «نِيل» وهو وادهم المقدّس.

والجدول في صفحة[145] يبيّن النطق المصري القديم و يقارنه بالنطق العربي بحيث أن العربي ينطق «ج» الذي هو أول حرف من كلمة جمل و يكتب ذلك الحرف « 𓎛 » الذي هو رمز الجمل في الكتابة المصرية القديمة فاختارهكذا اثني وعشرين صورة مصرية قديمة لاثني وعشرين صوتا حسب الجدول المبين لذلك صفحة[145] والآن اذا أردنا أن نكتب مثلا «جبل» نكتب.

ج
وهو أول حرف
من كلمة جمل

ب
وهو أول حرف
من كلمة بيت

ل
وهو أول حرف
من كلمة لأم (وهو السلاح)

ولكن المصري القديم اذا طلب منه أن يكتب «جبل» فهو يكتب الذي هو رمز الجبل عنده ولكنه لا يستطيع أن يكتب كلمة أخرى تستعمل نفس الحروف الصوتية مثلا: "جلب" والذي هو فعل معنوي لا مادي فالعربي يستطيع حينئذ أن يكتب:

استعمل العربي الصور المصرية التي هي صور اشياء مادية كالجمل والبيت واللآم واستطاع بهذه الكيفية كتابة أشياء معنوية كالافعال والأوصاف... فسكت هذه الكيفية الجديدة في الكتابة كل الأبعاد الانسانية المادية والمعنوية والنفسية والروحية بنفس العناصر الكتابية أي بالاثني والعشرين رمزا مصريا قديما واستطاع العربي أن ينتقل من عالم الحس الى عالم المعاني ومن عالم المعاني الى عالم الحس بمرونة لم يسبقه فيها أحد فقابل كل صوت بصورة وهو الحرف اليوم وكل حرف بصوت فهي علاقة **مقابل نظيري** جعلت اللّغة العربية ثابتة متينة لا يقدر عليها أحد.

فالحروف الابجدية في اللغات الاخرى لا يوجد فيها التأصل العربي فمثلا حرف "أي" في اللغة الفرنسية هي تحريف حرف «ي» العربي وفي حال أن «ي» هو أول حرف من كلمة «يد» وكتابته هي صورة يد ففي الفرنسية لاعلاقة بين حرف "أ" وأي كلمة أو أي صوت في اللغة الفرنسية وكذلك لكل الكتابات الاخرى.

فالجدول يبيّن كيف تطورت الحروف العربية من رموز مصرية قديمة الى حروف كنعانية ثم نبطية... و يونانية ولاتينية والحروف العربية الحالية تغيّرت من الرموز المصرية القديمة الى الحروف العربية الحالية باقية فيها أصول ابتكارها وثبتت في شكلها ونطقها وجمالها.

ج - الحروف الابجدية عربية الاصل

ان الحروف الاولى عربية واستعمل العرب الاشياء المألوفة يعرفها كل انسان كالبيت والرأس والقوس... لكتابة الحروف الأبجدية.*
ولندرس هذه الحروف الواحد بعد الآخر حسب الجدول في صفحة: 145

١ــ أ ــ يتركب الحرف العربي الحالي ألف من نبرتين تذكّر بأنهما قرني رأس البقر الذي هو الحيوان الأليف الداجن وهو الرمز المصري القديم الذي اتخذه العرب كحرف ينطق أ وقد فتح الله تعالى سورة البقرة بحرفأي ألم ولهذا الألف علاقة باسم السورة البقرة التي يذكرها الله في السورة نفسها خمس مرات.

﴿٦٧﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ
يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ
أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ
إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ ۖ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟
مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ
يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ
لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا ۖ وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ

* أعطى الصوفيون معنى للحروف التي كانوا يعتبرونها مقدسة.

لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا
تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا
وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ -٢-

ونجد أيضا في سورة **ص** الحرف الذي هو الرمز المصري القديم للجبل وهو الصد أي الجبل في اللغة العربية و يذكر الله تعالى في سورة «ص»:

﴿١٦﴾ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا
دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ
بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾

ونجد أيضا في سورة «ن» الحرف الذي هو الرمز المصري القديم للسمك وهو **النون** أي السمك في اللغة العربية و يذكر الله تعالى في سورة «ن»:

﴿٤٧﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ
ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَارَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن
رَّبِّهِۦ لَنُۢبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَىٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ
مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ -٦٨-

فيتبين من ذلك أنه يحتمل أن توجد علاقة بين معني الحروف التي هي فواتح السورات وما يوجد في السورات نفسها اذ أننا اكتشفنا أن كل حرف عربي يرمز الى شيء سنتابع دراسته ونتابع في مجال آخر البحث في معاني الحروف التي هي فواتح السورات.

٢ ــ ب ــ الحرف العربي ب هو أول حرف في كلمة بيت وكان يكتب في العربية بالرمز المصري القديم وهو رمز رسم الخيمة أو الدار.

٣ ــ ج ــ الحرف العربي ج هو أول حرف في كلمة جمل وكان يكتب في العربية بالرمز المصري القديم وهو رمز الجمل (الجَمَل)

٤ ــ د ــ الحرف العربي د هو أول حرف من كلمة دلو وكان يكتب في العربية بالرمز المصري القديم و هو رمز الدلو أو ثدي الأم المرضعة المتدلي و يسمي الطفل الصغير مرضعته "دادا" اشارة الى ثديها المتدلي الذي يرضعه.

٥ ــ هـ ــ الحرف العربي هـ هو أول حرف من كلمة هِرّ وكان يكتب في العربية بالرمز المصري القديم وهو رمز الهرّ و يتعجب علماء اللغة الأجانب اليوم من نطق هذا الحرف حتى باللاتينية é و hé فهي ليست ee أو ę بل é ولم يجدوا لها تفسيرا لا في الفرنسية ولا في اللاتينية ولا في العبرية ولا في الفينيقية فتفسير هذا النطق أصبح الآن واضحا اذ أن في العربية يقال: هِرّ وحرف هِـ ومنه ابجدهوز.

وتحسن الحرف العربي وأصبح شكله كالآتي: هـ ـه ه وكأنّ الذي طوّره يعلم أن أصل الحرف هو صورة هرّ فالحرف الاول هـ هو شكل هرّ ممتدّ على الأرض مثل الرمز المصري القديم والحرف ـه هو شكل جانب الهرّ والحرف ه هو شكل الهرّ مقابل. وهذا يدل على أن الحرف العربي

هو أول ما كتب ثم نقلت حروف اللغات الأخرى منه وهذا الأمر يتكرّر في كل الحروف الأخرى كما سيتضح لنا.

٦ ــ و ــ الحرف العربي "و" هو أول حرف في كلمة **وتد** وكان يكتب في العربية بالرمز المصري القديم وهو رمز الوتد أو المسمار أو الدسار وهنا أيضا يتعجب علماء اللّغة الأجانب من علاقة حرف F ...بالوتد الذي وجدوا آثاره في الكتابات القديمة الأخرى غير العربية. ولكننا في اللّغة العربية نجد هذه العلاقة طبيعية اذ أن حرف **و** هو أول حرف من كلمة **وتد** التي يرمز بها في الكتابة المصرية القديمة.

٧ ــ ز ــ الحرف العربي "ز" هو أول حرف في كلمة **زيتون** وكان يكتب في العربية بالرمز المصري القديم وهو رمز الزيتون وفي اليونانية يسمى هذا الحرف «زتا» وفي العبرية «زين» حيث تظهر الثلاثة حروف «ي» و «ت» و «ن» من كلمة **زيتون** العربية. وهذا يدل أيضا على أن الحرف الأول هو عربي.

٨ ــ ح ــ الحرف العربي ح هو أول حرف في كلمة **حائط** وكان يكتب في العربية بالرمز المصري القديم وهو رمز الحائط.

٩ ــ ط ــ الحرف العربي **ط** هو أول حرف في كلمة **طائر** وكان يكتب في العربية بالرمز المصري القديم وهو رمز الطائر.

١٠ ــ ي ــ الحرف العربي **ي** هو أول حرف في كلمة **يد** وكان يكتب في العربية بالرمز المصري القديم أو وهو رمز اليد وهو الحرف «يوتا» في الكتابة اليونانية التي هي تحريف كلمة «يد» العربية وكذلك في العبرية «يَدْ». وفي اللاتينية I و J التي تنطق في كثير من اللّغات الاوربيّة «ي». *

١١ ــ ك ــ الحرف العربي **ك** هو أول حرف في كلمة **كفّ** وكان يكتب في العربية بالرمز المصري القديم أو وهو رمز

* لم نذكر الكتابة العبرية لتحولها وتغيرها رغم أنها تكتب من اليمين الى الشمال كالعربية وعايشت الكنعانية لكنها هي أيضا مثل الكتابات الاخرى أخذت الحروف الا بجدية العربية كما أصبح واضحا.

الكف.

١٢ ــ ل ــ الحرف العربي **ل** هو أول حرف في كلمة **لأم** وهو الشديد من كل شيء أو السلاح أي الدرع أو السهم أو السيف وكان يكتب في العربية بالرمز المصري القديم وهو رمز السلاح الذي تمسكه اليد.

١٣ ــ م ــ الحرف العربي **م** هو أول حرف في كلمة **ماء** وكان يكتب في العربية بالرمز المصري القديم وهو رمز الماء رغم أن هذا الرمز ينطق بالمصرية القديمة «نِ» ومنه واد «النيل» المقدس عندهم.

١٤ ــ ن ــ الحرف العربي **ن** هو أول حرف من كلمة **نون** وهو السمك وكان يكتب في العربية بالرمز المصري القديم وهو رمز السمك.

١٥ ــ س ــ الحرف العربي **س** هو أول حرف في كلمة **سنّ** وكان يكتب في العربية بالرمز المصري القديم وهو رمز السن.

١٦ ــ ع ــ الحرف العربي **ع** هو أول حرف في كلمة **عين** وكان يكتب في العربية بالرمز المصري القديم وهو رمز العين و ينطق «عين» أي بنطقه في اللغة العربية ككل الحروف الأخرى.

١٧ ــ ف ــ الحرف العربي **ف** هو أول حرف في كلمة **فم** وكان يكتب في العربية بالرمز المصري القديم وهو رمز الفم. وأصبح يقال باللاتينية P فمثلا كلمة« فارس »تكتب Perse ولكي يرجع الحرف نطقه الأصلي النقي يضاف اليه h و يقال : Phare مثلا .

والجدير بالذكر أن علماء اللغة الأجانب لم يجدوا لهذا الحرف أصل

لا في اليونانية ولا في العبرية ولا في الفينيقية ولا في الاثيوبية ولا في المصرية القديمة التي ينطق فيها الفم «ر» ولكنه واضح لاشك فيه في اللّغة العربية وهو من أصل عربي كالحروف الأخرى وهذا حرف آخر يدل على أن الحروف الأولى كتبت باللّغة العربية والعرب هم الذين استعملوها في لغتهم للمرة الاولى في تاريخ الانسانية.

١٨ ــ ص ــ الحرف العربي **ص** هو أول حرف في كلمة **صدّ** وهو الجبل وكان يكتب في العربية بالرمز المصري القديم وهو رمز الجبل.

١٩ ــ ق ــ الحرف العربي **ق** هو أول حرف في كلمة **قوس** وكان يكتب في العربية بالرمز المصري القديم وهو رمز القوس وهذا الحرف أيضا لم يجد له أحد أصلا في أي لغة أخرى.

٢٠ ــ ر ــ الحرف العربي **ر** هو أول حرف في كلمة **رأس** وكان يكتب في العربية بالرمز المصري القديم وهو رمز الرأس.

٢١ ــ ش ــ الحرف العربي **ش** وهو الحرف الأول في كلمة **شأن** وهو موصل أو ملتقى قبائل الرأس وكان يكتب في العربية بالرمز المصري القديم وهو رمز الشأن. وأصبح يقال باللاتينية S ولكي يرجع اليه نطقه الأصلي يضاف اليه h فينطق Sh :ش

٢٢ ــ ت ــ الحرف العربي **ت** هو أول حرف في كلمة **تاج** وكان يكتب في العربية بالرمز المصري القديم وهو رمز التاج.

ونلاحظ أيضا أن ترتيب الحروف لم يكن فوضويا بل توجد محاولة لوضع الحروف في ترتيب وتنظيم منطقي حتى يتسنّى لمستعمله أن يتذكر كتابة الرمز ومنه كتابة الحرف أو قراءته فالحروف منظمة كالآتي:

بشير التركي

الحرف اللاتيني	الحرف اليوناني	الحرف النبطي	الحرف الكنعاني	الحرف العربي الجنوبي	الحرف السبائي	الحرف العربي الحالي	النطق العربي الشمالي	الحرف العربي الاول وهو الرمز المصري القديم	النطق المصري القديم
A	A A	٨٥٨	٨ ٨	٨	٨٥	ا الف	الف		1 م
B	B B	٦ ٦	٩ ٩	٦	٦٦	ب	ب بيت		2 ٥ ر
CG	Γ ٦	٦	٨ ٨	٦	٦	ج	جيم جمل		3 كم
D	Δ Δ	٦	٩ ٩	٩	٦٦	د ذ	دل دلو		4 حن
E	E ٦	٦ ٦	٦ ٦	٦	٦	٥ ٩ ٩ ٥	هـ هز		5 هـ
FUVWY	٢ ٦	٩ ٦	٩ ٢	٥	٦	و	و وند		6 سهن
Z	I I	١	٢ I	I	٦	ز	زي زيتون		7 ام
H	H B	٨ ٨	H H H	٦	٦	ح خ	حا حائط		8 اب
		٦	٦ ٥	٦	٦	ط ظ	طا طائر		9 سب
IJ	١ ١	٦ ٦	٦	٩	٦	ي	يد يد		10 د ت
K	K ٦	٩ ٦	٩ ٦	٦	٦	ك	كف كف		11 كبت
L	٨ ٦	١ ٦	٦	١	٦	ل	لام لام		12 ب
M	٣ ٣	٦ ٦	٣ ٣	٩	٦	م	ميم ماء		13 ن
N	N ٦	١ ١	٦ ٦	٦	٦	ن	نون نون		14 ان بن
X	I I	٦	٦ ٦	X	٦	س	سن سن		15 سف
O	O O	٧	٥ O	O	٦	ع غ	عين عين		16 بر
P	Γ ٦	٦ ٦	١ ١	٩	٦	ف	ف فم		17 ر
	M M	٢ ٦	٢	٦	٦	ص ض	صد صد		18 زو
Q	φ Φ	٦	٩ φ	٦	٦	ق	قاف قوس		19 عز
R	٢ ٩	١	٩ ٩	١	٦	ر	را راس		20 زز
S	٤ ٤	٦	w ٩ w	٤	٦	ش	شين شان		21 هر
T	T T	٨ ٨	٢ X	X	+	ت ث	تا تاج		22 تف

• أ أليف
ب بيت
ج جمل
د دلو
• هـ هرّ
و وتد
ز زيتون
الخيمة وما حولها
من حيوان وأوتاد
من عود الزيتون
• ح حائط
• ط طائر
الطائر يجتاز الحائط
أي الطائر يطير
في الجو
• ي يد
• ك كف
• ل لأم
السلاح اي السهم
في اليد
• م ماء
• ن نون
• س سن
• ع عين
ف فم
في الماء سمك
بعينه وفمه وسنه
• ص صدّ
• ق قوس
• ر رأس
ش شأن
ت تاج
فوق الجبل
ملك يمسك قوسا
ملك فوق مرتفع
يصطاد بالسّهم والقوس
السمك والطير حول خيمته
حيث بها حيوانات داجنة

بشير التركي

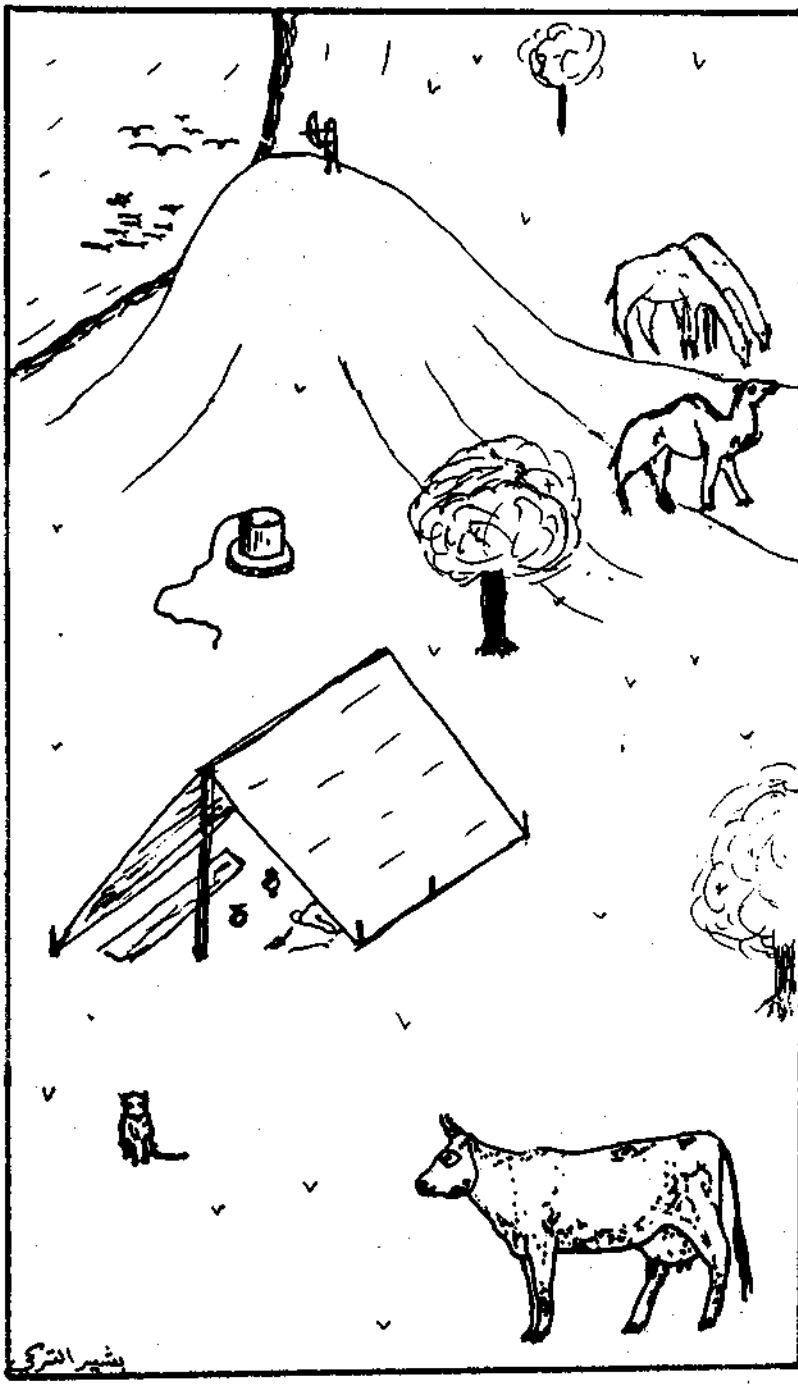

هل هو نظام لاعانة الذاكرة فقط أم هو وصف لوحة من الحياة اليومية القديمة أم هو الاثنين معا؟

والعلامة * تدلّ على أن الحرف ذكره الله في فواتح السورات ولم يذكر الله سوى هاته ١٤ حرفا المعلم عليها فلم يذكر مثلا : ذ أوغ أو ض... واذا قرأنا اللوحة بفواتح السور فقط نجدها لم تتغير كثيرا في معناها. وأصبحت: رجل فوق مرتفع يصطاد بالسهم والقوس السمك والطير ومعه بقر وهر.

ونلاحظ أن ستة حروف وهي: ذ خ ظ غ ض ث كتبت بنفس الحروف د ح ط ع ص ت لأنه قل ما يوجد في العربية كلمة تحوي الحرفين المتناسبين معا مثلا: ت و ث أو ث و ت ودذ أو ذد الخ... فينطق الرمز «د» أو «ذ» حسب موقعه في الكلمة وهذا موجود كثيرا في اللّغات الأخرى فمثلا حرف « S » في الفرنسية ينطق s في كلمة saut و ʃ في كلمة maïson وكذلك حرف c ينطق k أو ʃ ... وحروف عديدة أخرى... فهذا الامر ليس غريبا.

لكن لما وضعت النقط على الحروف أصبحت الستة حروف مستقلة حيث من ٢٢ حرفا صار للكتابة العربية ٢٨ حرفا وألحقت هاته الحروف الستة في آخر الترتيب الأبجدي.

ومن كتابة تستعمل الرموز المصرية القديمة كما ذكرنا تطورت الكتابة العربية الى خطوط عديدة نذكر منها الخط الكوفي... وقد قام يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم باصلاحه بوضع النقط على الحروف أي باعجام الحروف في القرن الأول الهجري في خلافة عبد الملك بن مروان ثم في أوائل العصر العباسي قام الخليل بن أحمد الفرهيدي بشكل الحروف ووضع ـَ للفتح وـِ للكسر وـُ للضم وـٍ للتنوين وـْ

للسكون أو ـّـ و ـّـ للشدة و "ء" للهمزة و "ـٓـ" للمد و "ـٔـ" لهمزة الوصل. فاكتملت الكتابة العربية وأصبحت لها مرونة وجمال لا يظاهيها فيها أي خط آخر.

فاذا حللنا الكلمة العربية وجدنا أن في نطقها معنى وفي كتابتها معنى بل في كل حرف من حروف نطقها معنى ولكل حرف من حروف كتابتها معنى فشأنها

شأن العناصر الكيميائية المادية الطبيعية لانها هي نفسها طبيعية فالماء مثلا يتركب من هباءات التي تتركب بدورها من ذرات وهي ذرتي الأكسيجان والهيدروجان ولكن هذين العنصرين لهما خاصيات لا توجد من بين خاصيات الماء ولهما خاصيات أخرى تبقى ثابتة في خاصيات الماء. فمن ذلك أن الأكسيجان والهيدروجان هواءان في الحالة العادية بخلاف أن الماء مائع ولكن الطيف الضوئي للعنصرين هو نفس طيف الماء. فكذلك تجد في الكلمة العربية المعاني التي توجد في الحروف التي تتركب منها هذه الكلمة مثلا : القاف هو أول حرف لكلمة قوس كما يظهر في الجدول والقوس عنوان القوة اذ أنه الدافع للسهم فلا بد لنا أن نجد في كل كلمة تحوي حرف القاف معنى القوة وهذا ما يظهر فعلا في كلمات: قطع وفلق وقال وقتل وقام وفرّق وحقّ وقرض و«سرق» وهي تختلف عن كلمة «اختلس» وكلمة «سارق» تختلف عن كلمة «لصّ» فالأولى فيها معنى القوة والثانية فيها معنى «الخفاء».

كذلك الراء المشددة تدلّ على الاستمرار مثل مرّ وفرّ وكرّ وخرّ وجرّ.. فحرف الراء هو رمز الرأس وطأطأة الرأس يدل على استمرار الفعل...والرّاء الغير المشددة تدل على الخفاء : ستر وضمر وغفر وكسر (أي تغير شكله وأختفى) وكفر (كفر ذنوبه أي أخفاها)وأسّر (أي

أخفى الحرية) وفي الرأس كل شيء خفيّ...

وهكذا بات متأكدا أن اللّغة العربية هي التي كتبت للمرة الأولى بحروف أبجدية وسرعان ما انتشر الأمر الى اللّغات الأخرى كالكنعانية (الفينيقية) والنبطية والعبرية واليونانية واللاتينية وغيرها. ولم ندرس تطوّر الكتابة وتطوّر الحروف بعد ذلك في تاريخ الانسانية ولم نوضح التدهور الذي طرأ على الكتابة في اللغات الاخرى حيث أصبح لا ينطق ما يكتب ولا يكتب ما ينطق و ينطق الحرف الواحد بعدة أصوات و يكتب النطق الواحد بعدة كتابات.

ولنذكر فقط في الحروف اللاتينية ضياع حروف كحرفي ط و ص وتغيير حروف أ هـ ي ع من حروف تأدي أصواتا الى حروف علّة voyelles : O I E A أي أن اللاتينية أضاعت ستةحروف صوتيةثم غيرت حروفا صوتية أخرى مثل س الى X و ينطق هذا الحرف «إكْس» بثلاثة أصوات فتعددت الاصوات لحرف واحد... وهذا كله أضاع تماما المطابقة النظرية بين الاصوات والحروف المكتوبة. ففي الفرنسية مثلا تنطق Po أو Pô وتكتب ثلاث كلمات بثلاثة معاني مختلفة لا يميز بينها الا سياق الجملة: Pot و Pau و Peau فالكتابة اللاتينية أصبحت تصوير من نوع جديد أقرب الى الرموز المصرية القديمة منها الى الحروف الابجدية النقية. وكذلك كل اللغات الاخرى فقد طرأ عليها نفس التدهور وتندثر تلك اللغات شيئا فشيئا وتضيع عن أهلها وتضيع معها الثقافة التي تحملها.

و يتبيّن من ذلك أنه من الحماقة والجنون أن تكتب اللغة العربية بحروف أخرى غير الحروف العربية كالحروف اللاتينية مثلا أو أن

"تطعّم" كما يقول البعض الكتابة العربية أو الكلام العربي. فاللغة العربية هي اللغة الوحيدة في الدنيا التي بقيت نقية مجردة من الخلط كتابة ونطقا والمطابقة النظيرية كاملة بين الاصوات والحروف. فلا بد لنا أن نحافظ على حروفنا كتابة ونطقا فنحافظ على لغتنا ومن ثم على ثقافتنا العظيمة ومنزلتنا المفضلة في الدنيا.

بقي أن نبحث كيف انخفض عدد الرموز من ٧٠٠ عند المرصيين القدامى الى ٢٢ عند العرب والمعلوم أن عدد الصبغيات في الخلايا البشرية هي ٢٢ دون تمييز بين أنثى وذكر لان الثالثة والعشرين هي الصبغية التي تميز جنس الانسان ولا أحد يدري في ذلك الوقت شيئا عن الصبغيات البشرية. والمعلوم أن الكتابة في الخلايا البشرية تتّبع نفس الاسلوب الذي ذكرناه في الكتابة الابجدية أي أن المعلومات الوراثية وهي معنوية التي بها يتكون جسم الانسان تكتب بفضل أشياء مادية محدودة وهي: H و C و N و O أي الهيد روجان والفحم والنيتروجان والاكسيجان فاستطاعت كلتا الكتابتين الوراثية والابجدية أن تأدي معلومات معنوية بفضل أشياء مادية. وهذا يدل على أن الذي وضع الكتابة الابجدية يعلم كتابة المعلومات الوراثية التي لم تكتشف الا في آخر قرننا هذا. و يستحيل أن تكون في ذلك الوقت من علم البشر فهو اذا اما من وحي الله تعالى أو من علم من أعطاه الله علم الغيب.

والمعلوم أن ابراهيم عليه الصلاة والسلام كان في فترة اكتشاف الكتابة الابجدية في الاماكن التي يعتقد أنه ظهرت فيها الحروف الابجدية وهو خليل الله وقد كلمه الله مباشرة. وقد قال الله تعالى:

﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ -٨٧-

آي أن كلام الله الى ابراهيم عليه الصلاة والسلام كتب في صحف و يتلوه كلام الله الى موسى عليه الصلاة والسلام الذي كلمه الله مباشرة أيضا فوق جبل طور في سيناء وقد جمعها الله الاثنين في نفس الآية ليبيّن أن صحف ابراهيم ليست مرموزة بل مكتوبة بحروف مثل صحف موسى المعروف أنها مكتوبة بحروف ولم يذكر صحف نوح أو غيره من الرسل والانبياء قبل ابراهيم لان الكتابة الابجدية لم توجد قبل ابراهيم فصحف ابراهيم هي الاولى على الاطلاق وتتلوها بعد ست مائة سنة صحف موسى.

و يذكر الله تعالى في كتابه العزيز انه قرآنا عربيا و يقول:

﴿١٠٣﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ
إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ
عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ -١٦-

﴿١٩٣﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ
قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُ لَفِي
زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ -٢٦-

الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ الْكِتَٰبِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا
عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ١٢

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ - ٤٣ -

وأول مانزل في القرآن الكريم هي كلمة «أقرأ».

فكلمة اقرأ الاولى تهم قراءة الموروثات لتكوين الانسان ماديا وكلمة اقرأ الثانية تهم قراءة القرآن العظيم لتكوين الانسان معنويا أي لتثقيف الانسان فتكون كل الكتابات ربانية و يكون مفهوم «**علم بالقلم**» حينئذ أن الله علّم الكتابة أي **علم الحروف الابجدية** التي بفضلها نقرأ القرآن.

وقد أقسم الله بالقلم وبما يسطرون وقال: «**نون والقلم وما يسطرون**» فهو قسم **بحرف نون** الذي هو السمك كما بينا وأقسم **بالقلم** و **بما يسطرون** ومنها الحروف الابجدية وقد اقسم بحروف عديدة و يتبيّن أن كل فواتح السورات بالحروف هي أقسام بها وهي تحوي معاني كما ذكرنا.

فلذلك نعتقد أن الحروف العربية الابجدية ربانية يحتمل أن وضعها اما ابراهيم عليه الصلاة والسلام أو وضعها ﴿ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

★

د ـ الارقام عربية

وكذلك الارقام فهي عربية والعرب هم الذين اكتشفوا الصفر لأمرين: الاول هو أن الكلمة نفسها أصفر يعني أخلى و الصفر هو الخلا أو الفراغ أي أن اسم الصفر عربي الاصل والثاني هو أن اكتشاف وسيلة وضع الصفر نتج عن وضع النقط على الحروف فالنقطة على النبرة مثلا هي التي تعطي للحرف قيمته هل هو باء أم تاء... والنقطة بجانب الرقم هي التي تعطي للرقم قيمته هل هو من الآحاد أم من الاعشار أم من المآت...

« والمعلوم أن الارقام 0 1 2 3 . . . (*) عربية اخذها الغرب من العرب عندما كان الغربيون لا يعرفون سوى الارقام الرومانية الغير قابلة للعمليات الحسابية البسيطة . . . والتي لا تحتوي على الصفر الذي أخذوه كعبارة تدل على الارقام .

ولم يفهم الغربيون هذه الارقام عندما نقلوها فاحتفظوا بها كما هي واصبح اليوم سهلا علينا ارجاع هذا التراث اذ ان كتابة الارقام عند العرب . كالكتابة كلها . من اليمين الى الشمال وذلك مثلا سنة 1972 (اثنان وسبعون وتسع مائة والف) فحافظ الغربيون على هذا النظام وقرؤوه مقلوباً أي : « الف وتسع مائة وسبعين واثنين » عوض ان يكتبوه 2791 وان يقرؤوه : اثني وسبعين وتسع مائة والف فصعبت عندهم كتابة الأرقام وكذلك صعبت العمليات الحسابية لانها تبدأ كلها من الاعداد الصغيرة : الآحاد ثم العشرات ثم المآت . . . كما هو معروف .

وكتب العرب هذه الأرقام مرتكزين على مفهوم « الزاوية » عوض مفهوم « الواحد » (1) عند الرومان والمعلوم انه بادخال الزاوية في العلم أسس العرب علم المثلثات وكان ذلك

* مجلة «العلم» رقم ٢ (١٩٧٢) صفحة ٥.

بمثابة ثورة في الحسابيات والميكانيك
وعلم الفلك،فكتابة الارقام العربية
اعتمدت النظرة التالية :

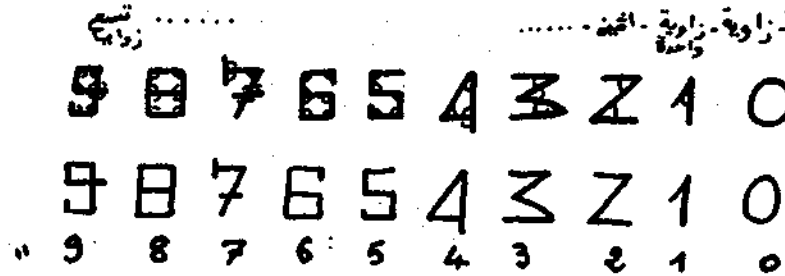

ونسميها الارقام الخوارزمية

« وقد تكون الأرقام الغبارية (*) ابتكرها العرب منذ أول عهدهم بتعلم الكتابة العربية وذلك قبل النبوة فيما بين منتصف القرن الثالث الميلادي ونهاية القرن السادس الميلادي أيضاً وهو الوقت الذي تم فيه تحول الخط العربي من صورته النبطية البحتة إلى صورته العربية المعروفة التي تراه عليها الآن والتي لا تبعد كثيراً عن صورة الخط النبطي التي كانت يومئذ هي نفس صورة الأرقام الغبارية تماماً . وقد علم ذلك مؤخراً عندما رأينا الخط النبطي الذي اكتشفه العالم الأثري الفرنسي المسيو رينيه دوسو المتوفى سنة 1958 وذلك حينما نقب في رأس شمرا بجنوب سورية حيث اكتشفها في بلد النارة بحوران في نقش مؤرخ بسنة 328 ميلادية وفيها ذكر امرؤ القيس .

ولا يبعد أن يكون العرب أطلقوا على الأرقام الغبارية هذا اللفظ عندما ابتكروا أحد الخطوط العربية المسمى بخط الغبار وهو خط دقيق سموه كذلك لشبه صغره بصغر حبات الغبار من قبل المبالغة وذلك على رأس القرن الثالث الهجري . ولعل هذه الأرقام

* مقال «الارقام العربية» لعبد الرحمان عبد اللطيف في مجلة «العلم» رقم(١٩٧٣) صفحة ١٩.

كانت شبيهة جداً بالخط الغباري وسميت غبارية مثله مبالغة في التشبيه .

وقد تتبعنا هذا الموضوع فرأينا أن الأرقام الغبارية المستعملة الآن في المشرق العربي وفي كافة الأقطار الاسلامية ربما تكون في الواقع هي الأرقام العربية بحق لا أختها التي نسميها الأرقام الافرنجية لاستعمالها عند الافرنج أكثر من استعمالها واشتهارها عند العرب والمسلمين . فقد لاحظنا بساطة صور وأشكال الأرقام الغبارية وموافقتها مع بساطة حروف الكتابة العربية . ولعل أشكال الأرقام الغبارية هي في الحقيقة بعض حروف الكتابة العربية كما قلنا آنفاً بلا نقط مأخوذ كل حرف منها من اسم الرقم نفسه الذي يدل عليه .

واتباعاً لهذا فإن الرقم واحد يبدو أنه حرف الالف المأخوذ من كلمة واحد . ورقم اثنين هو التاء والنون مجروران من كلمة اثنين هكذا ﻫ . ورقم ثلاثة هو الثاء والهاء مفتوح أسفلها ومتصلان من كلمة ثلاثة هكذا ﻫ . ورقم أربعة هو العين وهاء التأنيث متصلان . والهاء مفتوحة من أسفلها وهما من كلمة أربعة هكذا ﻫ . ورقم خمسة هو حرف الميم غير مجرورة من كلمة خمسة . ورقم ستة هو حرف السين بدون تعريق من كلمة ستة هكذا : ﻫ . ورقم سبعة هو حرف الباء من كلمة سبعة مشولة وقد كتبت في بعض المطابع كالباء المنكبة . ورقم ثمانية هو حرف الهاء للتأنيث مفتوحة الأسفل من كلمة ثمانية هكذا : ٨ . ورقم تسعة هو حرف العين مقلوبة ومنحنية من كلمة تسع هكذا : ﻉ . وشكل الصفر هو نقطة وهذه صورة الأرقام الغبارية :

١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ٠

ويبدو أنه وقع الاختيار على النقطة لتكون شكلا للصفر أو صورة له لأن النقطة في كتابة الحروف العربية جعلت للتمييز بين الحروف المصورة بصورة واحدة فهي إن وضعت على النبرة من فوق فتكون نوناً . وإن كانت من أسفل فتكون باءاً . وإن كانت اثنتين

من فوق فتكون تاء . وإن من أسفل فتكون باء . وإن كانت ثلاثا من فوق فتكون ثاء . وإن وضعت على الدال المهملة فتصير ذالا معجمة وهلم جرا . فالنقطة في كتابة العربية لها دور الضابط والمميز فكأنها لذلك جعلت صفراً في الأرقام العربية الغبارية لأن الصفر له بدوره مهمة الضابط والمميز أيضاً لمنازل الأعداد ومقاديرها بحسبها . فالواحد إن وضعنا قبله نقطتين فإنه يصير مئة . والخمسة إن وضعنا قبلها نقطة صارت خمسين . والسبعة إن وضعنا قبلها ثلاث نقط فتصير سبعة آلاف وهكذا . . الخ .

ولربما وقع على مر السنين والقرون تهذيب أشكال الأرقام العربية الغبارية وتحسينها وتجميل صورها حتى انحرفت عن صور الأحرف الواضحة التي ذكرناها وأخذت أشكالها التي نراها عليها اليوم كما وقع للأرقام الافرنجية التي فقدت زواياها الأصلية الآن كما هو واضح جلي وكما وقع ذلك لنفس خطوط الكتابة العربية التي صارت بعد تهذيب مستمر دائم لحروفها جميلة دقيقة بعد أن كانت كأنها رموز صعبة القييز وخاصة قبل نقطها كما نرى ذلك في الخط الكوفي القديم وغيره من الخطوط الأخرى » .

فنظامي الارقام عربي الاصل و براعة العرب اكسبتهم نظاما ابجديا لكتابة الحروف جميلا ومرنا وكاملا تمام الكمال دفع بهم الى انجازخطوط جميلة يزدان بها كل شيء كالمباني والمساجد والاطباق النحاسية والصحف... ونظام حسابي لكتابة الارقام فريد في نوعه جعل منهم كبار الحسابيين وعمالقة المفكرين والعلماء الباحثين في علم الرياضيات والفلك والطبيعة وغير ذلك.

وهذا يجعلنا ننتسب بكل اعتزاز الى هذه الحضارة العربية العظيمة ونجاهد بكل قوانا بالنفس والنفيس للانتساب اليها ونسعى الى أن تكون كل حياتنا في معاملاتنا اليومية كلها بهاته اللغة النقية الماجدة لانها تغذي حياتنا قوة وخلودا بقدر عظمتها وثباتها.

• ★ ★ ★ •

3ـ الخلق لله وحده

﴿١٩١﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩٢﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٣﴾ -٧-

١ ـ خلق عيسى
٢ - تركيب الكون المادي
٣ ـ المخلوقات الحية
٤ - رقم ٤ في القرآن

يتبين أن الله خلق من كل شيء زوجين أي اثنين
وكذلك زوجين أي مثنى اثنين أي أربعة.

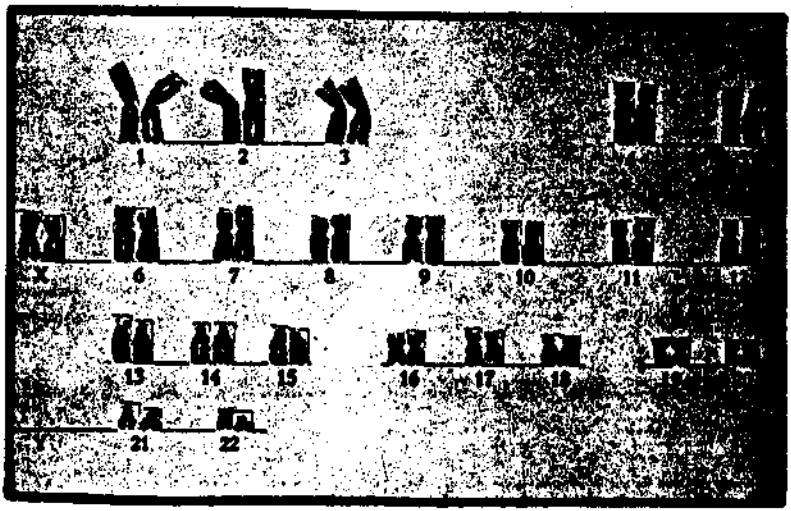

الاثنى والعشرون مورثات منظمة حسب سبع مجموعات والشامنة
XY أو XX تفرق بين الذكر والانثى

١ ـ خلق عيسى

﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ
الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ
ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ ٣٠-

فان خلق عيسى عليه السلام هو مثل خلق آدم وهذا ما يجعلنا ننظر

في خلق الانسان فنراه يخلق على أربع أوجه:
١) اما بلا أب ولا أم: وهو آدم عليه السلام
٢) واما بأب و بلا أم: وهي حواء
٣) واما بأم و بلا أب: وهو عيسى عليه السلام
٤) واما بأب و بام: وهي سائر الانسانية.
والقاعدة المعروفة هي الرابعة اذ أن الله تعالى قال:

﴿٤٩﴾ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ -٥١-

﴿٣٥﴾ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ -٣٦-

ولكن الله تعالى على كل شيء قدير فان

﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ -٣٦-

لأن القوانين الطبيعية هي بنفسها تحت حكم الله الذي خلقها.

فامكانية خلق الانسان تكون على الأربعة أوجه التي حققها الله تعالى حتى تظهر قدرته وما أعظم خلق من خلق الانسان الذي رضي بحمل الأمانة بعد ما رفضت حملها السماوات والارض.

فخلق الله آدم ثم حواء في الجنة وفي وقت لا يوجد فيه بشر آخر أما خلق عيسى فقد وقع بمحضر بشر آخرين وهي معجزة في حد ذاتها قبل

رسالة عيسى نفسه قال الله تعالى:

﴿٤٢﴾ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ
وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ -٣-

وفعلا فان مريم هي المرأة الوحيدة التي يسميها القرآن باسمها تكريما لها وهي في مقام آدم عليه السلام الذي أنجب حواء بدون زوجة اذ أنها أنجبت عيسى عليه السلام بدون زوج. قال الله تعالى:

﴿٩٠﴾ وَٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ
ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ -٢١-

فان آدم كذلك خلقه الله من طين ثم نفخ فيه من روحه وقد قال تعالى:

﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ
رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ
فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ -٣٨-

﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ
لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا
سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ -١٥-

ومعجزات عيسى معظمها تؤيد خطورة الروح والحياة باذن الله:

﴿ إِذْ قَالَ
ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ
بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ
وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ
بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ
بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ
إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ
مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ -٥٠-

فعيسى ينفخ في الطين على شكل طير فيصبح طيرا حيا باذن الله ويحيي الموتى ويخبر الناس بما في بيوتهم دون أن يدخلها.

واذا كان عيسى قادرا على احياء الموتى باذن الله فما بالك بالله الذي خلق عيسى وكل البشر والسماوات والارض وما فيها فهو قادر على أن يحيي الانسان بعد موته أي أن البعث حق لا ريب فيه وقد قال:

﴿ أَيَحْسَبُ
ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ -٧٥-

أي أننا قادرون لا على أن نحييه فقط بل أيضا نحييه على صورته الاولى بالتفصيل بما في ذلك صورة الخطوط في أصابعه التي يمتاز بشكلها كل انسان عن انسان آخر.

★

٢ ـ تركيب الكون المادي

و يذكر الله تعالى في القرآن الكريم: «الذين آمنوا وعملوا الصالحات». فن الاعمال الصالحة التي قام بها المسلمون هو تشييد العلم المنطلق من الايمان بالله وكان العلم هذا دعامة للايمان بالله.

فقد تعلم المسلمون عن اليونان وغيرهم فهم الكون ودراسته وهذا الكون يتركب عندهم من أربعة عناصر أساسية التي هي الماء والهواء والتراب والنار فالواحد من هذه العناصر الاربعة مناقض للآخر ومضاد له على نسق العقيدة عندهم التي ترتكز على عبادة آلهة متعددة تتصارع فينتج عن ذلك فكر متحجر مقام على الفوضى.

و بعدما صهر المسلمون كل ما أخذوه من الحضارات الأخرى العديدة من يونانية وفارسية وهندية وغيرها أبدعوا وأقاموا أولا المنهاج الفكري العلمي الذي هو المنطق من ناحية والدليل التجريبي من ناحية أخرى وأقاموا ثانيا هيكل فهم الكون فأبدلوا العناصر الاساسية الاربعة المذكورة باربعة أخرى باقية حتى الآن كما هي في العلم الحديث وهي: المكان والزمان والمادة والشعاع وهي مكملة بعضها لبعض لا يتم وجود الواحد منها الا بوجود الثلاثة عناصر الأخرى فهي مرتبطة ربطا عضويا وموحدة على نسق العقيدة الاسلامية المقامة على الايمان بالله الواحد الحق والتي تنشد الاخاء بين الافراد و بين الجماعات والتكامل بين العلماء والجهلة والاغنياء والفقراء وهذا هو الفكر العصري المتحرك باستمرار والمتقدم دائما.

فالمسلمون هم الذين وضعوا القياس والارقام والهندسة والحساب وحساب المثلثات والجبر وغير ذلك لضبط العنصر الاول و بفضله قاس البيروني لاول مرة في العالم منذ ألف سنة الدورة الكبرى للارض بدقة عجيبة بأمر من المأمون.

والمسلمون هم الذين وضعوا علم قياس الزمان وصنعوا أول ساعة وذلك لضبط العنصر الثاني.

والمسلمون هم الذين أسسوا علم الهيئة وعلم الكيمياء لضبط العنصر الثالث أي المادة وتوزيعها في الكون بفضل علم الفلك.

والمسلمون هم الذين أدخلوا لاول مرة في التاريخ مفهوم الشعاع اذ أن حسن بن الهيثم اكتشف المفهوم الصحيح لعملية البصر منذ أكثر من ألف سنة وصنع آلات عديدة للنظر ووصف تفاعلات الشعاع مع المادة وأقام قوانينها الاولى.

ونتج عن كل ذلك الفهم للكون تقدم علمي عند المسلمين لم تعرف الانسانية مثيلا له أبدا. ولم يغير الغرب هذا الفهم العلمي الى يومنا هذا ولم يزد فيه شيئا سوى في حجم المعلومات وعدد النتائج العلمية.

و يتقدم العلم وفي أوائل هذا القرن يضع آينشتاين النظرية النسبية محاولا بها أن يصهر فيها المفاهيم الاربعة المذكورة وأن يجد القوانين التي تربط بعضها ببعض فبرزت من ذلك أربعة مفاهيم جديدة: الطول والعرض والعمق والزمن الذي يسمى الاتجاهات «فضاء ــ زمن» أو الاتجاهات «دفع ــ طاقة».

ثم يحاول العلماء منذ بعض سنوات تفسير الكون بالمجالات فيقيموا «نظرية المجالات» وهي أربعة أيضا:

ـ المجال الجاذبي
ـ المجال الكهرطيسي
ـ المجال النووي
ـ المجال للتفاعلات الضعيفة

واكتشف أيضا أن المادة تتركب من ١٠٤ عنصرا كلها ذرات تتركب من أربعة عناصر أساسية وهي الاربع قسيمات:

p : البروتون
n : النوترون
e : الالكترون
ν : الضوئ

و يكتشف العلماء أن كل مستوى الطاقة في النواة المادية تحتوي على أربعة أماكن تحتلها القسيمات: ✦✦✦✦

فكلما بحثنا عن تركيب الكون ماديا سواءا كان نظريا أو تجريبيا وجدنا دائما أربعة عناصر.

★

٣ ـ المخلوقات الحية

فالمخلوقات الحية الارضية تتركب أساسا كلها من ذرة الفحم وخاصية هذه الذرة هي أنها رباعية التكافىء العنصري وكل المخلوقات الحية تتركب من خلايا متشابهة وكل خلية تتركب من نواة وسائل هيولي. وفي النواة يوجد الحامض أ.د.ن.(A D N) حيث فيه كل المعلومات لخلق الخلية نفسها ووضيفتها الخ... وهذه المعلومات تكتب بأربعة قواعد أزوتية التي هي:

أدنين	Adénine	و ينتج عن أدماجها عشرين حامضا أمينيا.
تيمين	Thymine	
ڤوانين	Guanine	
سيتوزين	Cytosine	

وهي تتركب بدورها من أربعة عناصر: H . C . N . O .

ونستطيع أن نبوب كل المخلوقات الحية من نبات وحشرات

وحيوانات على أربعة أشكال.

فمثلا الشجرة تكون: حبة ثم شجرة ثم زهرة ثم فاكهة ثم حبة مرة أخرى...

والحشرة تكون: بيضة فدودة فحورية فحشرة فبيضة مرة أخرى...

والحيوان يكون بيضة فجنين فرضيع فحيوان فبيضة مرة أخرى...

والانسان كذلك يكون بيضة فجنين فرضيع فانسان فبيضة الخ...

والوراثة تكون أيضا على أربعة أشكال فمثلا:

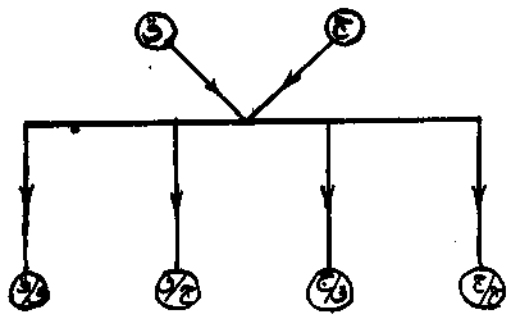

ولكن الانسان يعيش في مجتمع يتفاعل البشر كلهم بعضهم مع بعض فاذا اعتبرنا الخلية الاساسية للمجتمع التي هي العائلة نجدها تتركب أيضا من أربعة عناصر:

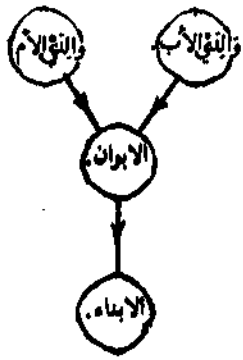

فقد قال الله تعالى:

﴿ ٤٩ ﴾ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿ ٤٩ ﴾ -٥١-

﴿ ٣٥ ﴾ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿ ٣٦ ﴾ -٣٦-

فنفهم إذاً أن الله خلق كل شيء من اثنين أو من أربعة أي مثنى الاثنين كما وقع بيانه.

★

٤ - رقم ٤ في القرآن

- الله: ٤ حروف •
- بسم الله الرحمان الرحيم: ٤ كلمات
- لا اله الا الله: ٤ كلمات
- كعبة: ٤ حروف
- الكتب المنزلة ٤:

الزابور: داود: ٤ حروف
التوراة: موسى: ٤ حروف
الانجيل: عيسى : ٤ حروف
القرآن: محمد: ٤ حروف

- قرآن: ٤ حروف وبدأ الوحي بكلمة اقرأ: ٤ حروف وانتهى بكلمة دينا: ٤ حروف.
- ذكر الله محمد في القرآن ٤ مرات:

﴿١٤٤﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ
إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ
عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى
ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ٣

• انظر كتاب السيد عبد القادر المرابط : دلالات جديدة في اعجاز القرآن

﴿٤٠﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ
مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ
عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ -٣٣-

★

﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ
مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿١﴾ - ٤٧-

★

﴿٢٩﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ
رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ
سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ
وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ
فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾

- وتوجد ١٤ سورة يذكر فيها الله رقم ٤.
- وفي سورة الاخلاص: ٤ آيات و٤٨ حرف أي ٤×١٢=٤٨ وفي الترتيب هي سورة رقم ١١٢=٤×٢٨ والحرف «د» هو الرابع في الترتيب الابجدي.
- للمسلم ٤ فرائض: الصلاة والصوم الزكاة والحج.
- الصلاة: ٤ ركعات و٤ حركات:
  - الوقوف
  - الركوع
  - السجود
  - الجلوس
- وفي الحج: ٤ فرائض: الاحرام والسعي بين الصفا والمروة ووقوف عرفات وطواف الافاضة.

★

بشير التركي

• ★ ★ ★ •

٤ ـ القرآن معجزة خالدة

الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ ـ ١١ ـ

١ ـ القرآن كتاب علم
٢ ـ علم الغيب وعلم الشهادة
٣ ـ القرآن موجه للمخلوقات جميعا
٤ ـ القرآن شامل وخالد

في عصر العلم القرآن معجزة علمية لأنه معجم علمي ولكنه مستوحى من روح العلم وجوهره وهو معجزة خالدة لانه يحتوي على كل العلم أي علم الشهادة وكذلك علم الغيب.

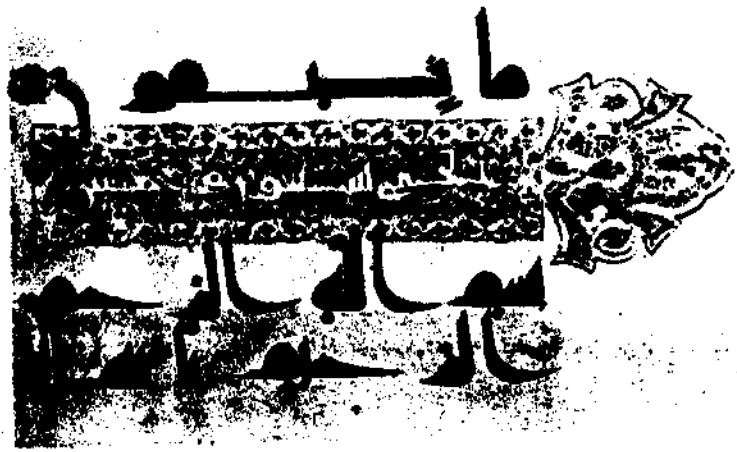

١ ـ القرآن كتاب علم

أنزل الله القرآن على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم منذ أربعة عشر قرنا وهو: قول فصل فتحطمت بوجوده كل أنواع الوثنية المادية منها والمعنوية وأتى بالبيان لكل المخلوقات في العالمين وهو المعجزة الخالدة والمستمرة في كل مكان وفي كل زمان.

وأما عصرنا اليوم فقد أطلق عليه اسم «عصر العلم والتقنية» وقد فاز فيه العلم والتقنية بمكانة عظيمة في نفوس البشر وفي المجتمعات البشرية حتى كادا يكونان مقدسين وعنوان عبادة وقد أصبح الكثير

يتصور أن العلم والتقنية من ناحية والقرآن من ناحية أخرى متناقضان ومتضاربان و يعتقد أيضا أنه ينبغي على الانسان أن يترك الايمان بالله للوصول الى التقدم العلمي والتقني ومن ذلك لتحقيق «الانطلاقة» الاقتصادية التي يعتبرها النجاح الاساسي والهدف النهائي.

وفي عصر العلم هذا سنبين أن القرآن كتاب علم ولا نعني بذلك أن القرآن معجم علمي بالمفهوم البشري ولكنه كتاب مستوحى من روح العلم وجوهره. وكل علماء اللغة يعلمون أن القرآن معجزة لغوية ولكنه لا يحتوي على أي قاعدة نحو ولا صرف ولا بلاغة وذلك رغم أنه مكتوب بأحرف عددها محصى ومنسق ومحكم احكاما يفوق طاقات كل البشر وقد قال الله تعالى:

الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١١ -١١-

وكذلك نقول أيضا أن القرآن معجزة علمية لا لأنه يحتوي على القواعد والقوانين العلمية أي لا بصفته معجما علميا بمفهومنا البشري ولكن لأنه مستوحى من روح العلم وجوهره.

ونعني بالعلم الحقائق العلمية دون النظريات والافتراضات وغيرها التي نعتبرها من الوسائل البشرية للوصول الى تلك الحقائق.

ولقائل أن يقول أن العلم يتطور فاذا بينا مثلا ان شيئا علميا ما يوجد في القرآن كيف يكون الأمر اذا تطور ذلك الشيء العلمي وأصبح ملغى مثلا؟

وان العالم يؤمن بوجود حقيقة علمية ثابتة خالدة يسعى الى معرفتها فاذا كانت هاته الحقيقة العلمية تتطور وأن ما يصل اليه اليوم من نتائج علمية يجب أن يغير لأنه خطأ بالنسبة الى النتائج الجديدة التي هي بدورها خطأ ايضا بالنسبة الى ما سيليها وهكذا الى ما لا نهاية له فهذا يدل على

أن العالم يعرف مسبقا أن علمه الذي يستنتجه خطأ فلا فائدة في العمل لأجله وهذا هو الجهل والظلام بعينه الذي لا يؤكده العلم الحديث ولا ينص عليه القرآن اذ أن العالم يؤمن مسبقا بوجود ثوابت ومستقرات في الكون واذا وقع تطور في نتائجه العلمية فلا يكون الا على شكل اكتشاف جديد يكمل ما حصل له من قبل أو يدققه.

فلنضرب مثالا لذلك فمن يستطيع اليوم في علم الأرض أن يقيم الدليل على أن الأرض ليست مستديرة ولكنها على شكل عجلة سيارة مثلا؟ لا أحد! ولكن أقصى ما يقع مثلا هو أن تدقق كروية الأرض وفعلا اكتشف علماء الفضاء أن الأرض المستديرة ليست كروية الشكل ولكنها على شكل أجاصة أو بيضة وهذا ما ورد في القرآن الكريم اذ قال الله تعالى:

﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَا ﴿٣٠﴾ -٧٩-

والدحية هي البيضة بعدما فهمنا أنها كروية الشكل في قوله تعالى:

﴿١﴾ خَلَقَ
السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ الَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ
النَّهَارَ عَلَى الَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ
أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٥﴾ -٣٩-

واذا أردنا أن نبين كروية الأرض لأطفالنا اعتبرنا تجربة حسية وقلنا مثلا: اذا ابتعدت عنا سفينة في البحر فهي تختفي عنا وراء المياه

قبل أن تغيب عن بصرنا بمقتضى بعدها عنا ووضعنا رسوما ومعادلات حسابية الخ... لذلك حتى نبين أن البحر غير مسطح بل مستدير ثم نعمم ذلك ونقول أن الأرض كلها مستديرة.

أما الله سبحانه وتعالى فلم يعجز عن بيانه بكل هذه التفاصيل العلمية البشرية الناتجة عن ارتباط البشر بالارض وأما الله تعالى فهو في كل زمان وفي كل مكان فهو يقول: «يكور الليل على النهار و يكور النهار على الليل» معبرا لنا أن وجود الليل والنهار يتعلق بالشكل المستدير وهذه الصورة ليست جامدة بل متحركة وهي لا تخص الارض فقط بل كل الكواكب ولا أحد سواه يستطيع أن يحرك تلك الكواكب فهو يكور الليل على النهار و يكور النهار على الليل. أما نحن فمن الارض نشاهد فقط ولا نحرك فنشاهد أن القمر مثلا مستدير وكذلك عطارد وزحل وغيرها ولكن لا نعرف ليل القمر ولا نهاره رغما أنهما موجودان فعلا وكذلك ليل الكواكب الاخرى ونهارها وأما في الارض فنحن نشاهد ليل الارض ونهارها ولكن لا نشاهد شكلها المستدير ولا حركتها المتكورة فالله تعالى في ست كلمات فقط يشمل قوله كل ما يتعلق بكل الكواكب بما فيها الارض: شكلها وحركتها وليلها ونهارها وكل العلاقات الممكنة بين كل هذه المميزات مكانا وزمانا.

كذلك لا يذكر الله تعالى في القرآن الكريم الطرق البشرية التي توصل بها الانسان الى الحقائق العلمية لانها خاصة بالبشر والقرآن لكل المخلوقات في العالمين. وقد قال الله تعالى:

﴿٣٨﴾ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ٦٠-

و يشمل كلام الله كل شيء لا ندركه كله لان الآية القرآنية مثلها مثل البلورة والذي ينظر اليها لا يرى سوى جانبا منها ولا يستطيع ملاحظان اكتشاف نفس الوجه منها كل يرى ناحيته. ولكن ليس المطلوب أن يرى كل الناس البلورة في نفس الوجهة أو أن يرى الانسان البلورة من كل جوانبها في نفس الوقت ولكن المطلوب هو أنه بمجرد أن نراها نقول انها بلورة. كذلك فليس المطلوب من الانسان أن يفهم كل ما أتى به كلام الله وهذا الامر مستحيل لان كلام الله فوق كل كلام ولكن يكفي أنه بمجرد أن يقرأه أو يسمعه يقول انه كلام الله الذي أمنت بأن لا اله الا هو. وقد قال الله تعالى:

وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ
فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا
ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ - ٣٠ -

وبهذا المفهوم فان القرآن كتاب علم لا يفوته أي علم يكتشفه البشر وسنحاول باذن الله بيان ذلك خلال بعض الايات. ونحن المسلمون نؤمن بوجود العلم اذ أن من صفة الله العزيز أنه «العليم» وهو يحثنا دائما على المزيد من العلم وقد قال الله تعالى:

وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ - ٣٠ -

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: «اطلب العلم من المهد الى اللحد» وقال أيضا: «اطلب العلم ولو في الصين» وقال أيضا «حبر الطالب أقدس من دم الشهيد» وقال أيضا: «لو تعلقت همة المرء بما وراء العرش لناله».

وهكذا فان تفسير القرآن لن ينتهي أبدا وهو دائما سابق للعلم البشري وتوجد فيه حلول مشاكل عديدة يبحث عن حلها علماء اليوم سنذكر منها البعض باذن الله وأكثر من ذلك فقد ذكر القرآن مشاكل علمية مع حلولها لا يستطيع العلم اليوم أن يصيغ شكلها ولا يطرحها ولا يفهمها.

فلذلك ان قراءة القرآن تنمي التفكير العلمي في الانسان مثلما تنمي فيه مثلا صقل اللغة العربية وتهذيب الكتابة بها. وهذا ما يجعلنا نؤكد تأكيدا ملحا على تدريس القرآن وتفسيره التفسير اللائق الصحيح في جميع المدارس والمعاهد والجامعات وعلى جميع المستويات والفروع علمية كانت أم أدبية أو قضائية أو سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية... انه كلام الله. وقد قال الله تعالى:

﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ - ٤١ -

ونعني بذلك تدريسه لا على انفراد مثل ما يدرس أي كتاب تاريخي بل تدريسه مندمجا مع جميع فروع العلم تدريسا مستندا على آيات الله وتفسيرا لها أو انطلاقا منها كلما استطعنا ذلك لا فاصل بين القرآن وتدريس أي مادة علمية أو غير علمية الأمر الذي يستوجب حتما تهيئة الاطار المربي وسنبين ذلك في أمثلة بسيطة باذن الله اخترناها متفرقة في الآفاق وفي الأنفس: وقد قال الله تعالى:

﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ - ٤١ -

★

٢ ـ علم الغيب وعلم الشهادة

ويحتوي القرآن على كل من علم الغيب وعلم الشهادة وأما علم الغيب فلا يعلم عنه الانسان شيئا والغيب يعني بصفة عامة كل ما غاب عن الانسان فهمه وادراكه و بصفة خاصة كل ما يقع في مكان أو في زمان ما يختلف عن المكان أوالزمان اللذين يوجد فيه الانسان. وأما الحاضر أي المكان والزمان اللذان يوجد فيهما الانسان فلا يظهر له منه الا حالته الاجمالية فلا يستطيع الانسان اليوم تفصيل الزمان أو المكان الذي هو فيهما تفصيلا دقيقا ولا كل ما يجري فيهما أيضا لأنه توجد مجالات عديدة أخرى سوى الاربعة المجالات المعروفة لا نعلم عنها شيئا ولا نشعر بوجودها. ولكن الله تعالى يتكلم في القرآن وهو في كل زمان وفي كل مكان لانه ليس تحت حكمها. فكل زمان حاضر له وكل مكان وهو فيه.

وقال الله تعالى:

﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ٢٧٠

«فالذي عنده علم من الكتاب» هو الذي عنده علم الغيب ولم يخص به الله الا بعض المخلوقات.

فالاسرى والمعراج هما أيضا من علم الغيب. وعلم سيدنا الخضر عليه الصلاة والسلام هو أيضا من علم الغيب وقد قال الله تعالى:

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ - ١٨ -

و يذكر القرآن كل ما سيقع لكل نفس ولكل جسم يذكر مصير الارض والشمس وكل النجوم والكون بأسره كل ذلك بدقة كبيرة تأيدها الاكتشافات العلمية المستمرة وهو يذكر أيضا كل ما في علم الشهادة أي كل ما في الحاضر المبين مكانا وزمانا ولما نتكلم عن العلم بالنسبة للانسان فاننا نعني بذلك علم الشهادة فقط و يقال شهد فلان المجلس أي حضره. فما هو العلم اذن؟

ان العلم هو دراسة تطور الانظمة والبحث عن الثوابت والمستقرات خلال هذا التطور.

والتطور هو تغير حالة النظام الظاهرة خلال الزمن اذ يوجد في النظام ما لا يدركه العقل والحس. والنظام هو كل ما نستطيع عزله عن باقي الكون بدون أن يتفاعل معه أي شيء. وخلال تطور النظام يتغير العديد من العوامل المرتبطة به و بعض هذه العوامل لا تتغير أي أنها تبقى ثابتة مستقرة فنطلق عليها مصطلح الثوابت والمستقرات.

وحسب الانظمة التي نعتبرها والثوابت والمستقرات التي نبحث عنها نقسم العلم الى فروع فاذا اعتبرنا الارض موضوع دراستنا فيكون فرع العلم هذا هو علم الارض وأما اذا درسنا ثابتا من ثوابت الارض مثلا

كثافتها أو المادة التي تتركب منها فيكون فرع العلم الذي ندرسه هو علم العدانة... وهكذا ينقسم العلم الى فروع متعددة من فيزيا وكيميا وعلم حياة ورياضيات وتاريخ وجغرافيا وعلوم اقتصادية وعلوم سياسية وعلوم اجتماعية الخ.. حسب الانظمة التي نعتبرها وحسب الثوابت والمستقرات التي نبحث عنها.

وأما التقنية فهي المهارة أي تطبيق معلومات بعمل متواصل لانجاز مشاريع معينة فقوام التقنية العمل والاجتهاد.

٣ ـ القرآن موجه للمخلوقات جميعا

والله لم يخلق الانسان وحده في الكون بل يذكر القرآن وجود مخلوقات عديدة والعلم يؤكد اليوم أن الحياة خارج الارض موجودة وان حساب الاحتمالات يبين أن في مجرتنا وحدها توجد أكثر من مليون كوكبا مثل أرضنا فيه المناخ اللازم لحياة عضوية مثل الحياة الموجودة عندنا ومن الممكن أن تكون الحياة مصوغة صياغة أخرى.
وقال الله تعالى:

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿٢٥٠﴾

وزيادة على ذلك فان دراسة الانسان دراسة دقيقة ماديا ونفسانيا تبين أن علاقة الانسان بالحيوانات الارضية ضعيفة جدا ان لم نقل مفقودة وتفضي بنا هذه الدراسة الى الاعتقاد بان الانسان غير أرضي ونحن المسلمون نعلم أن الانسان غير أرضي.
و يواصل الانسان اليوم جهوده للبحث عن حياة أخرى في الكون وقد خرج من السماء الارضية الى السماء القمرية
وزحف حتى السماء الشمسية فرمى بالصفيحات الحديدية المكتوبة الى خارج النظام الشمسي لعلها تلتقطها مخلوقات أخرى فتعلم بوجودنا في الارض وشيد الانسان السواري المرصدية كي يلتقط الامواج الاثيرية المحتمل ارسالها من طرف هذه المخلوقات المفترض وجودها.

وقد درس الانسان كل ما قيل عن الاطباق الطائرة بكل دقة واعتناء وكانت النتيجة أنه حدث موجود فعلا ولكن لا أحد يعلم عنه شيئا كثيرا.

و يقول يوركو بوندارشوك الكندي في كتابه "الاطباق الطائرة" : «مهما يكن الشكل الذي تتطور حسبه الاشياء فاننا نستطيع أن نترقب عددا من التحولات الدقيقة منها أن الانسانية تعيد النظر في مقتنعاتها الروحية وستأخذ بعين الاعتبار شعورها بوجود "خالق أكبر"».

﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ -٤٢-

وان الله لا يذكر لنا فقط أن هناك فعلا في الكون مخلوقات أخرى عديدة منها الجن والملائكة... ولكنه قادر أيضا على أن يجعلها تلتقي بعضها ببعض.

وهنا يفوق كلام الله كل العلم الحديث ومن جميع نواحيه وهذا مشكل المخلوقات الاخرى مشكل قائم اليوم في العلم الحديث و يذكره القرآن بكل وضوح و بدون شك ولا تردد في آيات عديدة.

كذلك فان الله تعالى يذكر في كتابه العزيز مشاكل علمية عديدة أخرى لا يستطيع العلم اليوم حتى أن يبسطها أو يضعها في صيغتها المفهومة.

★

٤ ـ القرآن شامل وخالد

والقرآن ليس معجزا للعرب وحدهم في لغتهم أي في اللغة العربية فحسب بل هو معجز فريد لكل المخلوقات جميعا في لغة الاعداد أيضا التي هي اللغة الطبيعية في الكون. وقد قال الله تعالى:

﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ
وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾ -٧٢-

ان القرآن الكريم يحتوي على معاني علمية عميقة وان آياته وكلماته وحروفه كلها متناسقة ومنظمة كتابة ونطقا حسب قوانين عددية محكمة رغما من طول مدة نزوله وهي ٢٣ سنة. وقال الله تعالى:

﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ
مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾
فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ
أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ ٢٠ـ

وقد وقع اكتشاف تناسب مكررات ١٩ في القرآن كله مركب من سور وآيات وكلمات وحروف (انظر كتاب «الله العلم» للمؤلف) وقد قال الله تعالى:

﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ - ٧٤ -

وتناسب خماسي (أنظر مجلة العلم والايمان عدد ٦١ صفحة ٢٧) والرقم سبعة الخ... وهناك أيضا تناسب في الاثنين وقد قال تعالى:

﴿٣٥﴾ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ - ٣٦ -

وأقسم فقال:

﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ - ٨٩ -

والشفع هو الزوجان والوتر هو الفرد

فلننظر مثلا سريعا في مهمة الرقم ٢ في القرآن مثلا

فمن الزوجين يخرج الله الفرد وهو نسخة فريدة لا مثيل لها وهذا ما اندهش له العلماء ولم يقسم الله بالشفع والوتر في خلق الكائنات الحية فقط بل أيضا في خلق كل شيء وفي السورة هذه أي سورة الفجر في خلق الليل اذ من الليل والنهار يخلق الله ليلا ليس كمثله ليل آخر اذ أن مواقع الاجرام السماوية تتغير ولا تعاد أبدا الى مواقعها السابقة.

فان الله تعالى خلق الازواج كلها في كل شيء وأخرج منها الفرد الذي ليس كمثله فرد آخر وذلك مما نعلم ومما لا نعلم فاذا اعتبرنا الاعداد فهي أيضا مكونة كلها فردا فردا وكل فرد من الاعداد لا يماثل الآخر فكل عدد وتر فالواحد لا يماثل الا ثنين والا ثنان لا تماثل الثلا ثة الخ... ولكنها كلها تكتب وتنشأ وتصور باشارتين فقط مثلا:٠و١ أو إشارتين من أي نوع كانتا وهذه هي القاعدة العددية الثنائية وهي أبسط قاعدة التي تستعمل في الحاسبات الالكترونية. ونستطيع أن نعوض الاشارتين بحالتين مثلا: مفتوح ومغلق أو أعلى وأسفل أو أبيض وأسود.. أو الخلق والعدم. كذلك الامر بالنسبة لكلامنا وكتاباتنا وكل ما ندركه نستطيع أن نجسمها باشارتين فقط.

وتكون المعاني المحتوية في القرآن أكثر من عدد الارقام في الخلق لا تحصى ولا تعد كما قال الله تعالى:

﴿١٠٩﴾ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ
ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١١٠﴾ -١٨-

وقال أيضا:

﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ
بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ -٣١-

فيتبين لنا أن مهمة الاثنين كبيرة جدا ولابد من أن تكون للارقام الاخرى مهمة كبيرة أيضا لا ندركها اليوم فتناسق هذه الاعداد

وتناسبها وتداخلها مع الحروف هو أيضا يحتوي على معاني ومعلومات لا يعلمها الا الله.

وان كمية المعلومات وقيمتها لا تقاس بكمية المادة التي تتعلق بها ففي ورقة واحدة نستطيع أن نكتب جملة كما أننا نستطيع أن نكتب كتابا كاملا فيها.

والمعلوم اليوم أن كميات من المادة ضئيلة ومجهرية في صبغيات الخلية البشرية تحمل معلومات عديدة تساوي ما يوجد في كتب مكتبة ضخمة.

وقد استطاع الانسان اليوم أن يضع كل ما تحويه حضارة انسانية ما في جهاز يقدر على ارسالها على أمواج الاثير في أقل من ربع ساعة .ي المعلومات التي تحصل عليها الانسان طيلة آلاف السنين من علم وأخلاق وأدب وفن.. تصبح في الفضاء غير محمولة من طرف أي مادة بل تحملها أمواج كهرطيسية غير مادية تدوم برهة من الزمن ولا عجب في أن نتصور أن تلك البرهة هي نفسها تصبح صغيرة جدا فتصغر الى حد أننا لا نستطيع قياسها فتكون كل تلك المعلومات عندئذ لا في المادة أي لافي مكان ولافي الزمان أيضا ولربما هذا هو مدخل الى مجال الروح الذي لا نعلم اليوم عنه شيئا وقد قال الله تعالى:

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ - ١٧ -

واذا كان الانسان قادرا على أن يضع ثقافته وحضارته كلها في شكل يكاد يكون مجردا من المكان والزمان فالله الذي يضع في خلية الانسان المجهرية ما تحتويه مكتبة ضخمة من المعلومات قادر على أن

يجمع في كتاب كالقرآن كل العلم أي ليس علم الشهادة فقط بل علم الغيب أيضا وفي صيغة تعجز العقول عن ادراكها كلها. وقد قال الله تعالى:

﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن
يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ
ظَهِيرًا﴿٨٨﴾ - ١٧ -

وهذا الكتاب خالد وقد قال الله تعالى:

﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴿٩﴾ - ١٥ -

ذلك بان الذي يمسك السماوات والارض أن تنهار هو الذي يمسك القرآن أن يفقد.

★

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ①
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ② الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ③
مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ④ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ
نَسْتَعِينُ ⑤ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ⑥
صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ
عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ⑦

• ★ ★ ★ •

الخاتمة

﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾
وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ - ١٥ -

الجهاد لتحطيم معالم الوثنية
والجهاد في سبيل الله ذلك هو الفوز العظيم.

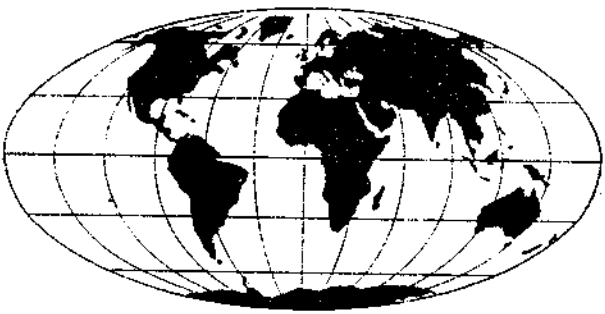

فتح الأرض الاسلام

أكتشف أن الانسان كان يعمر الارض منذ ملايين السنين وأقيم في القرن التاسع عشر ميلاديا علم جديد وهو علم الانسان القديم واكتشفنا أن القرآن تكلم عن هذا الانسان منذ أربعة عشر قرنا وهو الوثيقة الوحيدة التي ذكرته وقد استعمل الملحدون هذا العلم لأغراضهم التخريبية فوضعوا النظريات المخطئة كظهور الانسان صدفة أو كظهوره نتيجة تطور حيواني بصفة فوضوية دون أي تدخل خارجي ولكن الواقع العلمي يبين عكس ذلك و يدعم مرة أخرى كلام الله العزيز فالله وحده هو الذي خلق الانسان كما خلق السماوات والارض وما فيها وهذا مرة أخرى هو الاعجاز العلمي للقرآن في عصر العلم والتقنية.

وتبين لنا أيضا أن أهم ما اكتسبه الانسان طيلة تعميره للارض هو الكتابة بالحروف الابجدية العربية التي ظهرت الاولى والتي هي ربانية.

﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ -١٥-

فالمعلومات الوراثية المكتوبة في مورثات الانسان هي التي يبنى بها الانسان ماديا والمعلومات المكتوبة في القرآن الكريم هي التي بها يكتمل ثقافيا. فآدم عليه الصلاة والسلام هو الذي نزل من الجنة الى الارض بالرصيد الوراثي ومحمد صلى الله عليه وسلم هو الذي صعد من الارض الى سدرة المنتهى وانزل عليه القرآن الذي هو الرصيد الثقافي فمن الجنة الى مكة ومن مكة الى الجنة كل ذلك لاكتمال الانسان الذي خلقه الله في أحسن تقوم.

ولم يبق للانسان الا التنقل الآني والنقل الآني للمعلومات وهذا من علم الغيب يعطيه الله لمن يشاء ومتى يشاء ولكن كل نشاط الانسان الحالي يسعى لذلك والله قادر على أن يهبه للانسان كما هو قادر على أن يعمل كي تحول الساعة دون ذلك.

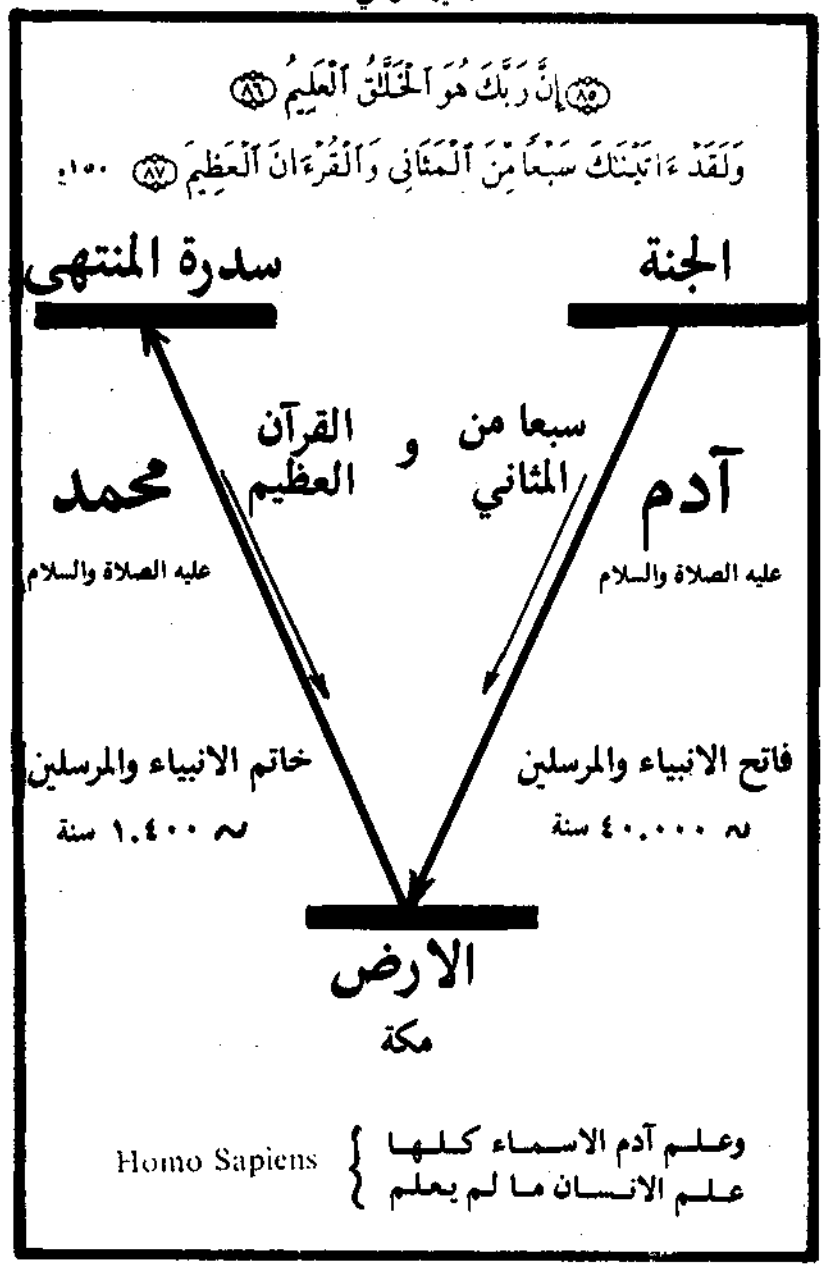
﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾
وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ١٥٠:
الجنة
سدرة المنتهى
آدم
عليه الصلاة والسلام
سبعا من المثاني
و
القرآن العظيم
محمد
عليه الصلاة والسلام
فاتح الانبياء والمرسلين
~ ٤٠.٠٠٠ سنة
خاتم الانبياء والمرسلين
~ ١.٤٠٠ سنة
الارض
مكة
وعلم آدم الاسماء كلها
علم الانسان ما لم يعلم
Homo Sapiens

والمعلوم أننا على أبواب السنة ألفين من ميلاد المسيح عليه السلام وهو أيضا حدث هام بالنسبة الى النصارى أيضا الذين قال عنهم الله تعالى:

﴿٨١﴾ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ ٠٠-

وهم يتهيئون لهذا الحدث الكبير من الآن وسنرى مدى احتفالاتهم به وكيف يستعرضون كل مكتسباتهم المعنوية والمادية وتقدمهم في ميادين الاخلاق والعلم والفن وغيره خلال الالفين سنة وسنرى من يستدعونهم من علماء ومفكرين وفنانين وشعراء من كل آفاق النشاط الانساني مسيحيين كانوا أو غير مسيحيين وذلك لعرض آرائهم وعصارة تفكيرهم لا في الخطوات العملاقة التي أنجزوها طيلة عشرين قرنا فقط

بل أيضا لانارة السبيل لشبابهم ولتهيئته لمستقبل أكبر آزدهارا ولغرس شعور العزة والكرامة مع ايمان راسخ في قلوبهم ولتسليمه مشعل الحضارة والتقدم بكل أمانة وصدق. هذا هو أقل ما نتوقع أن نشاهده قريبا عند النصارى الذين هم أهل الكتاب.

أما عندنا فقد أقيمت الوثنيات المعنوية والمادية لتبعدنا عن ديننا ولغتنا العربية ودست لنا الفتن كما اعتدناها في العهود الاستعمارية.

أما نحن فقد حطمنا وثنية «العلم والتقنية» في الستينات والسبعينات وألغينا بالبرهان القول الغالط: «اترك الاسلام الذي كان سبب تخلفك واعتنق «العلم والتقنية» التي بها تتقدم وتزدهر». فبينا في العديد من المناسبات أن «العلم والتقنية» منطلقان من الايمان بالله وهما منا والينا منذ أربعة عشر قرنا وهما لا ينفيان أبدا وجود الاسلام بل لا يكونان الا منطلقين منه أي من الايمان بالله. وأقنا الدليل على أن كل نشاط الانسان من علم وتقنية واخلاق وفن وغيره كله نابع من الايمان بالله فالايمان بالله مع العمل الصالح هو قادر وحده لا غير بان يخرجنا من التخلف و يقفز بنا نحو التقدم والازدهار المعنوي والمادي.

ومن يدعي خلاف ذلك ينبغي عليه أن يبرهن على نزاهة تفكيره أولا بتحطيم الوثنية عنده أي بتحطيم عبادة الاشخاص و ثانيا بتدمير الاصنام ومعالم الوثنية المقامة لذلك معنوية كانت أو مادية.

ولهذا الامر بالذات وقعت الهجرة النبوية التي نحتفل بها سنويا فالخلاف الاساسي الذي نشأ بين محمد عليه الصلاة والسلام وقريش هو تحطيم الاصنام والغاء الوثنية بأنواعها فلذلك هاجر النبي صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة ولم يرجع اليها الا لتحطيم أساسا تلك الاصنام والغاء كل معالم الوثنية فيها.

فعوض اقامة الوثنيات كان علينا أن نذكر بمكتسباتنا بفضل

الاسلام طيلة أربعة عشر قرنا من علماء وحكماء ومفكرين وقادة ومجاهدين ونستعرض أعمالهم ومنجزاتهم وما وفره الاسلام من حرية فردية وعدالة اجتماعية لم يسبقه في ذلك أحد وخاصة ما منحه للمرءمن كرامة وحرية لم يوفرها لها أي نظام سابق أو حاضر والآفاق التي فتحها الاسلام للنشاط البشري في كل الميادين والامن الذي أعطاه لكل البشر مسلمين أو غير مسلمين يعيشون في ظل حكم الاسلام.

وكان علينا خاصة أن نوضح مستقبل الاسلام وأن نبين لشبابنا الآفاق الجديدة التي يفتحها لهم الاسلام في القرن الجديد وأن نبعث في قلوبهم لا اليأس والخوف والفتنة بل الاطمئنان واليقين والوحدة ونبين لهم القوة التي يملكونها في القرآن والحديث وفي لغتهم العربية الخالدة وفي تاريخ أمجادهم المزدهر لتشييد مستقبل باهر وحضارة يعم الخير فيها للمسلمين ولغير المسلمين الذين يختارون العيش في ظل الاسلام.

وقد قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ -٤٩-

فيجب علينا بعد تنظيمنا لخلية المجتمع التي هي العائلة أن ننتظم كشعوب وأقوام تنظيما محكما فان الوحدة العربية أمر مصيري لا شك فيه باذن الله وأن التكتلات الجهوية حتمية آتية لا ريب فيها ان شاء الله فوحدة الجزيرة ووحدة الشام ووحدة المغرب العربي وفوق كل ذلك الوحدة الاسلامية الشاملة أمر آت باذن الله

ولقد قامت الوحدة الاميريكية على شكل ولايات متحددة بالحديد والنار بحروب في القرون الفارطة وقامت الوحدة السوفييتية على شكل جمهوريات متحدة أيضا بالحديد والنار بحرب في أوائل قرننا هذا وتقوم اليوم الوحدة الاوروبية على شكل سوق مشتركة متحدة بقوة المصالح المادية المشتركة الزائلة.

و ينقص كل هذه الاتحادات أهم عنصر وهو الوحدة الثقافية والمصيرية ولكن يجب أن نعلم شبابنا أن هذا العنصر الهام متوفر فعلا بين الاقطار الاسلامية فلها لغة واحدة وتاريخ واحد وثقافة واحدة ومصير واحد ولا تنقصها اليوم سوى توحيد المعاملات المادية وهو أهون الامور.

والمعلوم أن المصالح المادية غير ثابتة ومستقرة فهي متغيرة مع الاحوال والظروف ومتبدلة مع الاشخاص.

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فان الحياة في هذا الاطار مجرد أستغراق في الاستمتاع المادي والحسي بكل ما يتقدم اليها ولكن الانسان ليس حسا فقط أي ليس جسدا تشبعه وتغنيه متطلباته المادية وانما الجسد هو غلاف لحقيقة الانسان الكامنة في الفطرة التي خلق عليها فلذلك تفقد الحياة على هذا المنوال كل أسباب التوازن فلا تدوم وتضمحل.

وأما الايمان بالله فهو رابط ثابت مستقر يهم كل أفراد المجتمع فيشعر به العالم والجاهل والغني والفقير والرجل والمرأة والكبير والصغير والاسلام لا يفرق بين الاجناس ولا بين الاوطان فكل فرد في اسرته ووطنه وقومه مطمئن لانه يعتمد على الله آمن ممن حوله يربطه بهم الايمان بالله في المعاملات أيضا.

وقد قال الله تعالى:

﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ -٢١-

﴿١٠٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟
ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ
ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً
فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ
مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ
تَهْتَدُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ -٣٠-

و ينبغي علينا أن ننسج كذلك الوحدة الاسلامية في الدين والدنيا بعد التطهير اللازم فنشيد الامة الاسلامية ومنها الخلافة الاسلامية تحت كلمة واحدة: الله ربنا ومحمد رسولنا والقرآن دستورنا.

و ينبغي علينا أن نعطي فعلا لشبابنا المشعل ونشركه في المسؤولية لبناء حضارة شامخة ونبين له أن الجهاد ليس مهنة يتاجر بها ولا حرفة

يُقْتَاتُ بها بل الجهاد فرض واجب على كل مسلم والجهاد يكون بكل العتاد لفتح التراب وقيام حكم الاسلام و بالقلم واللسان لفتح القلوب وكذلك بالنفس والنفيس لاعلاء كلمة الله فالجهاد لتحطيم معالم الوثنية والجهاد في سبيل الله ذلك هو الفوز العظيم في الدنيا وفي الآخرة وذلك هو الدرس الاعلى في الحياة البشرية.

واعتبارا لما يمرّ به الانسان اليوم من أزمات مصيرية معنوية ومادية فانه يتحتم علينا:

١) أن نطبق الشريعة الاسلامية في جميع المعاملات سواءا كانت بين الافراد أو بين المجتمعات.

٢) وأن مارس لغتنا المجيدة وهي اللغة العربية الخالدة في كل ميادين النشاط كالتربية بكل درجاتها والادارة بكاملها والخطب في كل المناسبات.

٣) وأن نلغي كل معالم الالحاد والوثنية المادية منها والمعنوية كالاصنام والنظريات المدسوسة وغيرها... ونقيم المعالم الاسلامية كتواريخ الاعياد والمواسم منسقة مع العالم الاسلامي كله ونذكر الله في كل كلام وكل كتابة...

٤)وأن نكشف الجهود للاربتاط مع المجتمعات الاسلامية ونوحد الاعمال والاتجاهات للسعي نحو الوحدة الكاملة والشاملة.

٥) وان نقيم كي نبقى متقدمين توازنا كاملا معنويا وماديا تقدره الاخلاق الاسلامية الرفيعة وأن نحقق استقلالا ذاتيا دائما لجل حاجاتنا منطلقين من أصالتنا الحقة التي هي الاسلام والعروبة وأن نركز أشعاعا اسلاميا عربيا على كل الانسانية في الداخل والخارج يفتح البصائر و يرفع الهمم و يوقض الضمائر بفضل نور الاسلام.

﴿١٣٢﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٣﴾ -٦-